Tel : 787250, 788166
Fax : 0522-787310

MAJALLAH

RNI No.(U.P. ARA/20
Regd. No.LW-119/64

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Issue-3) Jan. 2002 (Monthly)

صدر حديثاً :

محمد شهاب الدين الندوي

مشاهد الربوبية

في دنيا النبات

تأملات في بعض أسرار القرآن من الوجهة العلمية

من منشورات

الأكاديمية الفرقانية، بنجلور (الهند)

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Journalism and Publicity) NadwatulUlama at Parekh Offset Printing Press, Tu
Editor :

المجلد ٤٧

المجلد السابع والأربعون

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد الرابع | مجلة اسلامية شهرية جامعة | ذو الحجة ١٤٢٢هـ

في هذا العدد

مسيرة التجمع بين مظاهر الحس والعقل
نظرة على ماهية الباري تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة
الإسلام بين الله العقل
الحضارة الإسلامية وقيادة العالم المعاصر
أصول المعاملات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة
إطعام الطعام في الإسلام
هل توقف التطور في عصر الإسلام أو تطور
يحيى بن معاذ الرازي وقاياه العلمية
دوران السيادة حول مقياس واحد
الشهيد الخالد
(الأطفال المشردون - وثورة الكاسيات العريات في شهر الله
مستقبل الثروة الحيوانية أمام مضاعفة الثروة البشرية في العالم
الإسلام بالعلم والتوازن العلمي
إلى رحمة الله تعالى

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

٨٨٢١
١٤/١٩٥٥

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السابع والأربعون

العدد الرابع
ذو الحجة ١٤٢٢هـ
فبراير ٢٠٠٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)
(رحمه الله)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجيا من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند :
ماتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية

في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٥/دولارا بالبريد العادي
و
٤٠/دولارا بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

★ سيرة تجمع بين مظاهر الجمال والكمال — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) — ٣

الافتتاحية

★ الحضارة الإسلامية ، وقيادة العالم المعاصر ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٤

التوجيه الإسلامي

★ نظرة على ماهية البارئ تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة — فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي — ٩
★ الإسلام : دين الله الخالد — د/محمد بن سعد الشويعر — ١٦

الفقه الإسلامي

★ أصول المعاش الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة — الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي — ٢٥
★ إطعام الطعام في الإسلام — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٣٦

دراسات وأبحاث

★ هل توقف الشعر في صدر الإسلام أم تطور ؟ — د/محمد أنوار الحق الخطيبي — ٤٢
★ يحيى بن سعيد الأموي (ت/١٩٤هـ) ، وكتابه : "المغازي" — د/جمشيد أحمد الندوي — ٥٠

حول عالمية اللغة العربية

★ دوران المادة حول معنى واحد ؟ — د/محمد السيد علي بلاسي — ٦٣

قضايا مستحدثة :

★ الأطفال المشردون ودور الخادمات المربيات في ظهورهم — الأستاذ أنيس الجشتي — ٧٨
★ المستهدى الضال — الأستاذ محمد عفان الندوي — ٧٤
★ مستقبل الثروة الحيوانية أمام مخاطر حرب المياه في العالم — د/إبراهيم الراوي — ٨٧

صور و أوضاع

★ الإخلال بالنظام لإقرار نظام — الأستاذ السيد واضح رشيد الندوي — ٩١

إلى رحمة الله تعالى

★ ١- فضيلة الشيخ المفتي عبد الرحيم لاجفوري إلى رحمة الله تعالى — التحرير — ٩٥
★ ٢- فضيلة الشيخ عاشق إلهي في ذمة الله تعالى — " " " — ٩٦
★ ٣- فضيلة الشيخ السيد أحمد الهاشمي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ٩٦
★ ٤- فضيلة الشيخ السيد محمد طاهر الحسيني المظاهري في ذمة الله تعالى — " " " — ٩٧

هنا ذكر عدد من الراحلين والراحلات في شهر رمضان المبارك وبعده — ٩٨

★ ١- شقيقة فضيلة الشيخ محمد عارف الندوي السنبهلي — التحرير — ٩٨
★ ٢- السيدة فاطمة بنت الأستاذ السيد إبراهيم الحسني — " " " — ٩٩
★ ٣- والدة الأستاذ أمين الدين شجاع الدين — " " " — ٩٩
★ ٤- حرم فضيلة الشيخ الأستاذ أبي بكر الحسني — " " " — ١٠٠
★ ٥- السيد سهيل إقبال نجل د/السيد إقبال أحمد الندوي — " " " — ١٠٠
★ ٦- الطبيب البارع افتخار أحمد الميناني — " " " — ١٠١
★ ٧- فضيلة المفتي الشيخ عبد الباسط الإبراهيمي

سيرة تجمع بين مظاهر الجمال والكمال

إن من درس علم النفس و الأخلاق ، و عني بدراسة الشخصيات المعاصرة ، وعاش معها طويلاً عرف أن النزول في أعماق نفس إنسان و الإحاطة بآفاقها ، و تصويرها تصويراً دقيقاً شاملاً من أصعب أنواع المعرفة ، و أساليب البيان و أدقها ، و أنه لا يحسن ذلك بعض الإحسان ، و لا يقدر عليه بعض القدرة إلا من عرف شيئاً كثيراً من خوالج النفس وخواطرها ، وآمالها وآلامها ، وأحزانها و أشواقها، والتهاب الروح ، ولوعة القلب ، وقد رأى كيف يبيت هذا الإنسان ليله ، ويقضي نهاره ، وكيف يعاشر أهله ، ويعامل أصحابه ، قد رآه في السلم والحرب ، و الرضا والغضب ، وفي العسر واليسر، والضعف والقوة ، ومن أحوال النفس الإنسانية ، ومشاعرها ، وأحاسيسها، ومن مظاهر الجمال والكمال ما لم توضع له ألفاظ بعد ، و لا تفي به ثروة لغوية مهما اتسعت ودقت .

و السيرة النبوية المحمدية تتميز من بين سير أفراد البشر - وفيهم الأنبياء وغير الأنبياء - بدقتها و شمولها ، و استيعابها لدقائق الحياة ، وتفاصيلها ، وملامحها ، و قسماتها ، و ذلك بفضل علم الحديث الذي لا يوجد له نظير ، لا في تاريخ الأنبياء ، ولا في تاريخ العظماء ، و كتب السير و الشمائل ، وما جمع وحفظ من الأدعية ، و الأذكار النبوية ، و مناجاته ﷺ لربه آناء الليل و النهار ، و ما حفظ و نقل من جوامع الكلم ، و ما أثر عن الوصافين الحاذقين من أصحابه ، و أهل بيته في صفته التي لم تحفظ كتب الآداب ، والتاريخ ، والأنساب ، صفة أكثر منها دقة ، وأعظم منها استيعاباً للملامح البشرية ، و الدقائق الخلقية .

سماحة العلامة الشيخ السيد
أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الحضارة الإسلامية ، وقيادة العالم المعاصر !

معظم العائشين على هذه الكوكبة يعتبرون الحضارة الغربية ، هي القائدة الأصيلة لتطور الحياة والمجتمع في عصر العلم والتقنية ، و قد جاء هذا الاعتبار نابعاً من خلال ما يسبحون به من حمد هذه الحضارة وقدسيتها، كما يقدسون الوطن ، والتراب ، واللون ، و الدم ، تزعّم الغرب بنظرية تقديس الحضارات ، و قد تبنتها الأمم والشعوب التي عاشت فراغاً هائلاً في المجالات العلمية والفكرية ، فهتفت بتمجيد حضاراتها ، ونسجت حولها أساطير القدم التاريخي ، والعظمة الإبداعية التي كان يتمتع بها أصحابها الماضون ، و رموزها الأقدمون ، و قد بدت هذه الظاهرة مع تيقظ أوربا من سباتها العميق ، و ذلك عقب دخول المسلمين في "الأندلس" بحضارتهم الشاملة ، و مدنيتهم الكاملة التي أبهرت أهلها ، و أثار فيهم الغيرة على ما فاتهم من فرصة العلم والحضارة ، والغفلة التي عاشوها إلى أمد طويل ، و قد أثرى المسلمون أوربا بحضارة إسلامية لا مثيل لها في تاريخ الحضارات القديمة البائدة .

لقد كانت الحضارة التي جاء بها الإسلام عطاءً ربانياً يتفق ، وطبيعة البشر بوجه خالد ، وقد أودع الله سبحانه فيها سر السعادة الكاملة للإنسان مع الاحتواء الشامل لجميع الجوانب الجسدية و

الروحية ، و مناحي العلم ، و الفكر ، و الاجتماع ، و العبادة ، والسياسة ، والاقتصاد ، وأسرار الكون ، وحقائق الحياة والإنسان ، والدنيا والآخرة ، أنزلها الله سبحانه بطريق الخلافة التي خلعها على آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، و أعلن عن ذلك في جمع من الملائكة ؛ فقال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً * قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا * مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا * وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ * وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ * وَنُقَدِّسُ لَكَ * قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا * ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ * فَقَالَ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

ولا شك فإن هذا الحوار الذي جرى بين الله سبحانه وتعالى وملائكته في شأن العلم والمعرفة ؛ إنما هو أول أساس متين للحضارة الإلهية التي كانت ضرورة الإنسان ، والكون ، والحياة ، وعليها تتوقف سعادة العالم على اختلاف الأزمنة والأمكنة ، وتباعد الديار والأمصار ، وتباين الأجيال و الأوطان ، أما تفسير هذه الحضارة الشاملة الكاملة ؛ فيحتوي عليه آيات كثيرة من كتاب الله ، ونصوص من أحاديث الرسول الحبيب الأعظم صلّى الله عليه وسلّم ، و معلوم أن العلم بجميع أنواعه وألوانه ، هو أساس الحضارة وقاعدتها، لذلك فإن الإسلام شديد الحرص على رفع منارة العلم ، و اتخاذ الوسائل المتوافرة كلها لنشره وتعميم منافعه على جميع المستويات ، ألم تروا كيف تحدث الله سبحانه عن قراءة العلم المقرونة باسم الرب تبارك و تعالى في أول وحي نزل على رسول الإسلام صلّى الله عليه وسلّم ، ومعنى ذلك بكل وضوح أن الدين الذي جاء به الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم يحث قبل كل شئ على القراءة ، وأداة العلم ، وذلك أقطع حجة على أن الحضارة لا تكتمل بدون العلم بضربيه الفرض والكفاية ، كما يقول الإمام ابن القيم :

"العلم ضربان ؛ ضرب منه فرض عين لا يسع مسلماً جهله ؛

و هو أنواع :

١- علم أصول الإيمان الخمسة : الإيمان بالله ، وملائكته ، ورسله ، وكتبه ، واليوم الآخر ، فإن لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل باب الإيمان ، ولم يستحق اسم مؤمن .

٢- علم شرائع الإسلام ؛ واللازم منها ، وعلم ما يخص الشخص من فعلها ، كعلم الوضوء ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وتوابعها ، وشروطها ، ومبطلاتها .

٣- علم المحرمات الخمس ؛ التي اتفقت عليها الشرائع ، وهي قول الله تعالى : ﴿ قُلْ : إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا * وَمَا بَطَنَ * وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ * وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً * وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف/٣٣] .

٤- علم أحكام المعاشرة والمعاملة بين الشخص لأسرته ، وفيما بينه وبين مجتمعه .

وضرب آخر ؛ هو فرض كفاية ، وهو كل ما من شأنه أن يقيم حياة الأمة ، من طب ، ورياضيات ، وهندسة ، ومساحة ، وفلاحة ، وحياكة ، وحدادة ، وصناعة ، وتجارة ، وعلوم أخرى لا يدري عنها وقته شيئاً ، كلها علوم لابد من أن يقوم بها نفر من الأمة ، حتى تسير أحوال المعيشة على خير ما يرام داخل الأمة ، وفي تعاملها مع غيرها من الأمم" . [مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، مكتبة حميدو بالإسكندرية]

ويقول الإمام الغزالي :

إن فرض العين قد يتناول أركان العبادات من صلاة وزكاة ، و أركان الأخلاق من صدق و حياء ، و قد يتناول ترك الكبائر من ربا وخنا ، وهذه أمور ترتبط عادة بالضمير الفردي ، والسلوك الشخصي . أما فرض الكفاية : فإنه قد يتصل بحراسة الأمن ، والقضاء بين الناس ،

و القيام بشتى المناصب ، و إجادة الفنون والصناعات التي ينهض بها عمران الأمة ، و تحيا بها النفوس ، فهي فرض الكفاية - وذلك خطره - يكفى في وصفه أن يقال في حقه : إذا قام به البعض سقط عن الباقين ؟!

فالحضارة التي تتكون من هذه العناصر العلمية التي تغطي جميع متطلبات الحياة ، وتمهد الطريق ؛ نحو بناء المجتمع الأفضل ، وتوفير أسباب الأمن و السعادة و السلام للعالم البشري أجمع الذي يتعايش فيه الناس في حرية وكرامة ، وتتوطد فيه العلاقات بين الإنسان والإنسان ، على أسس من الحب والمودة ، وتبادل المنافع والمصالح ، وتتصل فيه الوشائج بالله الواحد القهار بإخلاص العبادة له ، واعتباره المرجع الوحيد في كل حاجة ودعاء ، ولدى كل طلب وسؤال ، تلك هي حضارة الإسلام التي تعلم الإنسان أن يكون عبداً مطيعاً خاشعاً لله يمثل سلوكيات عالية ، ويتبرأ من كل داء خلقي ، ومرض نفسي ، ويتميز بالنصح والخير والعطاء ، ويتنفر من ظلم الهيمنة والمعصية والعدوان .

إنها حضارة تدعو إلى احترام حقوق الإنسان ، وحقوق الرب تبارك و تعالى ، فلا تسمح البتة بالظلم والاعتداء ، وسفك دماء الأبرياء ، ونشر الفساد والفوضى في المجتمع الإنساني ، إنها حضارة بناء وعطاء ، وحضارة حب و ولاء ، إنها حضارة العدل والإخاء ، وحضارة تضحية وفداء ، و ليست حضارة الظلم والشقاء ، والوحشية وسفك الدماء ، و خدمة المصالح الذاتية مع قتل الأمناء والأوفياء ، كما هو الشأن في الحضارات المادية ، والفلسفات الانتهازية .

إن المجتمع الذي تبنيه هذه الحضارة يشرف على جميع احتياجات الناس ، ويراعى المصالح الإنسانية المشتركة كلها ، ومتطلبات الروح والجسد كليهما ، ويجمع بين الشرائح البشرية في غاية من التوازن ، و القصد ، ويعطى كل ذي حق حقه من العدل والرحمة ، و المساواة والمواساة .

و لقد مثل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما بعثه الله به من العلم و الهدى لبناء هذه الحضارة ؛ فقال : "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلاء والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ؛ إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ، و لا تنبت كلاءً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به".

إنها حضارة الإيمان والعمل ، وحضارة الجسم والروح تجمع بين حسنتي الدين والدنيا بغاية من الإتزان ، وفي ضوء توجيهات الخالق الحكيم الذي خلق الإنسان ، و أكرمه بشريعة السماء التي تشمل جميع شئون الحياة ، والاجتماع لكل حال ؛ سواء في حال الشدة و الرخاء أو السراء والضراء ، والسلم و الحرب ، والفقر و الغنى ، وما إلى ذلك ، ومن ثم كانت الحضارة الإسلامية كاملة شاملة ، و خالدة مع خلود الدين ، ومنسجمة مع الفطرة : ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا * لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ * ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ * وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ فهي الحضارة القائدة ؛ حضارة العلم و الإيمان ، حضارة الجسم والروح ، حضارة القيم الخلقية ، و المثل العليا، حضارة الإنسان في كل عصر ومصر ، وحضارة النهج القويم : ﴿ وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً * فَاتَّبِعُوهُ * وَ لاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ * فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ * ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

والله يقول الحق ؛ وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي

٢٣/شوال ١٤٢٢هـ

نظرة على ماهية البارئ تعالى

في ضوء النظريات القديمة والحديثة

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
الأمين العام للأكاديمية الفرقانية ، بنغلور - الهند
(تعريب : الأخ محمد وثيق الندوي)

الذات الإلهية في نظر الأمة :

إن المحور الأساسي الحقيقي الذي يدور حوله هذا البحث ، وهو هل الله سبحانه وتعالى جسم ؛ أم لا ؟ فلكافة فرق الأمة وطوائفها المختلفة آراء مختلفة متباينة ، ونظريات متعارضة حول ذلك ، وتفصيل ذلك ؛ كما يلي :

١- تقول المعتزلة والجهمية :

إن الله تعالى ليس بجسم ، و لا جوهر ، و لا عرض ، و لا ذي جهات ، ولكنه مع ذلك "شئ" ليس كالأشياء الأخرى ، (ومضى تفصيل ذلك فيما سبق) .

٢- تقول الكرّامية والمشبهة : هو جسم لا كالأجسام (٢٠) .

٣- يقول جهم بن صفوان وبعض الزيدية : إن البارئ لا يقال له إنه شئ ، لأن الشئ هو المخلوق الذي له مثل (٢١) .

٤- تقول الشيعة :

إن الله جسم بكل ما تعنيه الكلمة كأجسامنا : ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير ، أما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالإله تعالى وتقدس ، وأما التقصير فتشبيه الإله بواحد من الخلق (٢٢) .

٥- قال الشيعة الغلاة والحشوية : معبودهم على صورة ذات أعضاء و أبعاض ، إما روحانية ، و إما جسمانية ، و يجوز عليه الانتقال و النزول ،

والصعود والاستقراء والتمكن (٢٣) .

٦- قال المسلمون كلهم : إن البارئ شئ لا كالأشياء (٢٤) .

٧- قال المعتزلة : إن البارئ تعالى مختلف تمام الاختلاف عن الأشياء (المخلوقات) (٢٥) .

قال الصوفية الغلاة : إن أشياء العالم أو المخلوقات هي الموجودة في صورة الله ، يعني : أن الله تعالى قد حلّ في هذه الأشياء المادية ، وبعبارة أخرى : إن أشياء العالم كلها "ظلّ الله" ، وهذه النظرية تعرف بـ "عقيدة الحلول والاتحاد" ، أو بـ "نظرية وحدة الوجود" .

٨- يقول الإمام أحمد بن حنبل :

لا أقول : هو جسم ، ولا ليس بجسم ، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام (٢٦) .

٩- يقول الإمام أبو حنيفة في أحد أقواله :

وهو شئ لا كالأشياء (٢٧) .

١٠- بالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثات (٢٨) .

نظرة على مذهب السلف الصالح :

إن السلف الصالحين أو كبار المتقدمين منقسمون إلى طائفتين بهذا الخصوص : بالغت إحداهما في صفات الذات الإلهية إلى حد التشبيه عن طريق التأويل ، والثانية : لا تقول بالتأويل ، وإلى ذلك ذهب الإمام مالك ، والأئمة الآخرون .

على كل ، إن عدداً كبيراً من السلف الصالحين يرى إثبات الصفات الأزلية لله تبارك وتعالى ، كصفة العلم ، والقدرة ، والحياة ، و الإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والإكرام ، و الجود ، و الانعام ، والعظمة ، والعزة وما إلى ذلك ، ولا يفرقون بين الصفات الذاتية ،

والصفات الفعلية ، بل أنهم يثبتون "الصفات الخبرية" أيضا ، كيدي الله ، و وجهه ، وهو يستوي على العرش ، كما هو مصرح في الكتاب والسنة ، فإننا لم نكلف بتفسير هذه الآيات القرآنية أو التأويل فيها (٢٩) .

ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف ، فقالوا : لابد من إجرائها على ظاهرها ، فوقعوا في التشبيه الصرف ، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف (٣٠) .

فخلاصة القول أن أكثر السلف يقولون بالتشبيه ، فبهذا الاعتبار يعترفون بجسمانية الله تعالى إلى حدّ ، فلا تنحل مسألة صفات الله تبارك وتعالى بدون إقرار جسمانية الله تعالى ؛ كما يصرح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية : لا يعقل ما له حياة ، وعلم ، وقدرة ، وسمع ، وبصر ، وكلام ، وإرادة إلا ما هو جسم (٣١) .

ولا يغيبن عن البال إن القول بأن الله جسم أو ليس بجسم ؟ لا يوجد ذكره في كلام السلف ، لكنهم يكثرون ذم النفي بالنسبة إلى الإثبات ، لأن التعطيل أعظم من التشبيه ، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الشأن :

"إن السلف والأئمة كثر كلامهم في ذم الجهمية النفاة للصفات ، وذموا المشبهة أيضاً ، وذلك في كلامهم أقل بكثير من ذم الجهمية ، لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه ، و أما ذكر التجسيم ، وذم المجسمة فهذا لا يعرف في كلام أحد من السلف ، والأئمة ، كما لا يعرف في كلامهم أيضاً القول بأن الله جسم أو ليس بجسم ، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية في نفي الجسم ، كما ذكره أحمد في كتاب الردّ على الجهمية" (٣٢) .

إن الخلاف بين السلف الصالح ، وبين المعتزلة والجهمية كان دائراً حول ثلاث مسائل أساسية ، إحداها : القرآن غير مخلوق ، الثانية : الله يرى

بالأبصار ، والثالثة : الله تبارك وتعالى فوق العالم (سبع سماوات) فهذه المسائل الثلاث هي التي قد أجمع عليها سلف الأمة ، والأئمة الكرام ، وأهل السنة والجماعة ، ولكن المعتزلة والجهمية لا يرون ذلك ؛ لأنه يلزم من ذلك بأن لله تبارك وتعالى جسماً (٣٣) .

هفوات المتفلسفين :

إن من الواقع أن الدراسات والأبحاث الإسلامية قد تأثرت بالفلسفة اليونانية تأثراً عظيماً ، واستسلم المتكلمون المتفلسفون للنظريات اليونانية الفلسفية مقابل مقاومتها ، فأدى ذلك إلى أن أصبحت عقائد الإسلام ، وخاصة عقيدة التوحيد مشبوهةً ومشكوكاً فيها ، ثم يوجد في كتابات المتكلمين تعارض وتناقض كثير ، فيطهرون و ينزهون الله تبارك وتعالى من الجسم ، والجوهر ، والعرض ، والجهة ، و ما شاكل ذلك من أجل تجنب ما يقوله الفلاسفة رجماً بالغيب ، وأسهامهم الطائشة في جانب ، و في جانب آخر يعتبرونه عزّوجل قابلاً للرؤية والمشاهدة وفق عقيدة السلف ، وهذا تعارض عقلي بيّن كبير ، ومن الواضح أن كل شئ قابل للرؤية ينبغي أن يكون لا محالة جسماً ، و إلا فليس هناك أي فلسفة في العالم تستطيع حل هذه القضية العويصة المعقدة ، ومن الواضح أيضاً أنه لا يمكن وجود شئ مرئي بدون الجسم ، فلا يكون هناك نقص وعيب إذا اعتبرناه جوهراً عادياً أو جسماً كبيراً ، واعتبار كل جسم حادثاً من النظريات المهملة ، يمكن الاعتراض عليها من الناحية العلمية ، لأن المادة من الأمور الغامضة وفق الدراسات الجديدة و الاكتشافات الحديثة ، و يحار علماء الطبيعة أنفسهم في البحث عن حقيقتها ، وجوهرها ، ثم كشفت العلوم الطبيعية الحديثة عدة مواد تختلف عن مادتنا المعروفة (سيأتي ذكر ذلك مفصلاً) فلأجل ذلك يمكن أن يكون في عالمنا أو غيره مادة أو مادة أقوى تخلو من أسباب الفناء والزوال ، و بعض الاكتشافات التي ظهرت بهذا الصدد مدهشة للغاية .

فلماذا نعرض إيماننا للخطر بتسليم أن ذات البارئ تعالى أتفه جوهر، مما يساوي "لا شئ" ؟ و لماذا لا يقال : إن الله سبحانه عظيم جداً ؛ حتى إن الأرض والسماوات السبع ؛ لا وزن لها ، ولا قيمة أمام عظمة الله ، كما يصرح ذلك الكتاب و السنة : إن الله سبحانه يحمل السماوات السبع ، وما فيها في إحدى يديه يوم القيامة – تفصيل ذلك في الصفحات القادمة – ولكن أهل الكلام لم يتعرضوا لهذه الناحية ، بل إنما استسلموا للنظريات الباطلة من "حدوث الأجسام" ، و "تماثل الأجسام" نابذين نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية وراء ظهورهم ، ونادوا – نعوذ بالله من ذلك – إن الله تعالى ليس إلا أدنى شئ أمام هذا الكون الواسع ، كأن الله تبارك وتعالى ليس له أي وجود .

فلابدّ من إلقاء نظرة عابرة على المادة الموجودة في عالمنا وأشكالها المتنوعة المختلفة قبل مناقشة ودراسة آراء المتكلمين المتفلسفين ، وبتّ الحكم النهائي بهذا الخصوص ، و يتضح من خلال ذلك أن رؤية تماثل الأجسام الفلسفية مضللة للغاية ، والتي قد بني عليها صرح : "حدوث الأجسام" ، مما أدى إلى القول بأن الله سبحانه : "ليس بشئ" ، وإن نظرية حدوث الأجسام تم اتخاذها من أجل إثبات وجود الله سبحانه ، ولكن هذه النظرية ، وإن كانت ترى إثبات حدوث العالم أو وجود مظاهر الكون ، و لكن وجود الله تبارك وتعالى انعدم بسبب هذه النظرية – تعالى الله عزّوجل عن هذه الخرافات – وإن في هذه القصة للإلهيات عبرة وموعظة للآخرين .

المادة سر ملكوتي :

إن مثل هذه الموضوعات والأبحاث التي افترضت بلا دليل تبدو في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة أوهاماً و خرافات ، لأن في العصر الحاضر قد أصبحت ، لا الروح فقط ، بل المادة أيضاً شيئاً سرياً ، فالمادة تتكون في تحليلها الأول من مجموعة ذرات عديدة تشتمل على ثلاثة أنواع ، الذرة

السلبية : (الإلكترون) ، والذرة الإيجابية : (البروتان) ، والذرة غير المشحونة : (نيوتران) .

وحقيقة هذه الذرات الثلاث مجهولة ، وتتركب المادة في تحليلها الأخير من الموجات الكهربائية ، أو الأشعة الإشعاعية ، وليس هناك أحد يعلم بأنه كيف تنشأ العناصر والجواهر من هذه الموجات ، أو الأشعة ؟ فمن هذه الناحية يثبت أن "المادة" سر ملكوتي أسدلت على حقيقتها حجب سميكة ، وكل خبير بالعلوم الطبيعية يبدو عاجزاً عن كشف القناع عنها .

المادة وضدها :

و لم يتوقف الأمر على أن مادة عالمنا سر مكتوم أو لغز ، بل توجد في عالمنا هذا "مادة مضادة" ذات خصائص مختلفة عن مادتنا، تسمى بـ (Anti matter) (٣٤) فطبقاً للاكتشافات الجديدة التي ظهرت في القرن العشرين ، إن الذرات النووية التي توجد في هذه المادة المضادة تشتمل على شحنات كهربائية مضادة للذرات (الإلكترون ، والبروتون ، ونيوتران) التي توجد في المادة العامة ، أي ذرة الإلكترون الموجودة في المادة المضادة تشمل شحنة كهربائية إيجابية عكس البروتون المعروف ؛ كما أن ذرة بروتون الموجودة في المادة المضادة تشتمل على شحنة سلبية بدل الإيجابية ، وبالتالي ؛ إن المادة العامة ، والمادة المضادة لا يمكن أن توجدا معاً ، بل لا يلبث تلاقيهما وتقاربهما ، حتى تقضى بعضهما على بعض آخر قضاءاً باتاً في مدة أقل من ثانية ، ونتيجةً لذلك تظهر طاقة هائلة إلى حيز الوجود .

ويقدر علماء الطبيعة أنه من الممكن أن تشتمل بعض المجرات البعيدة على مادة مضادة برمّتها ، كما قالوا : إنه من الممكن أن يكون هناك كون "مضاد" كعالمنا المعروف ، مشتملاً على المجرات المضادة ، والكواكب المضادة ، والأجرام السماوية المضادة .

It has been suggested that some distant gloiaxies may be composed entiroty of anti-matter ... and the Existnance of anti-univers

Consisting of anti-galaxies, Anti-stars, and anti-planets is possible (35).

فبهذا الاعتبار كأن علماء الطبيعة أنفسهم مضطرون إلى الاعتراف بأن هناك عالماً آخر ما وراء عالمنا المعروف ، و ليس عندهم أي علم بوجود أكوان خافية غامضة كثيرة من هذا النوع مما لا تدركه أبصارنا .

* * *

المراجع :

(٢٠) شرح الفقه الأكبر، أبو منصور الماتريدي : ص/١٧ ، دائرة المعارف حيدرآباد.

(٢١) مقالات الإسلاميين ؛ أبو الحسن الأشعري : ٢٥٩/١ .

(٢٢) الملل والنحل ؛ الشهرستاني : ٩٣/١ .

(٢٣) أيضاً : ١٠٥/١ .

(٢٤-٢٥) مقالات الإسلاميين ؛ أبو الحسن الأشعري : ٢٥٩/١ .

(٢٦) موافقة صحيح المنقول ؛ العلامة ابن تيمية : ١٧٨/١ .

(٢٧) شرح الفقه الأكبر ؛ الملا علي قاري : ص/٥٥ ، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٤م .

(٢٨) الملل والنحل ؛ الشهرستاني : ٩٢/١ .

(٢٩) الخلاصة من الملل والنحل ؛ الشهرستاني : ٩٢/١-٩٣ .

(٣٠) المرجع السابق : ٩٣/١ .

(٣١) موافقة صحيح المنقول : ١٠٩/١ .

(٣٢--٣٣) المرجع السابق : ١٨٧/١ .

(٣٤) Anti-matter.

(٣٥) Encyclopedia Brita Nica, Vol.11, p.703, 1983.

الإسلام : دين الله الخالد

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" الرياض)

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، صفوة الخلق وأكرم بني آدم على الله ، وجعل الله الدين الذي جاء به من عند ربّه ، أكمل الرسالات وآخرها ، ثم جعل أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران/١١٠] ، وهذه الخيرية لا يكتسبها أي فرد من هذه الأمة إلا إذا أدّى حقها الذي ذكره الله في تكملة الآية ، والصفات التي يجب أن يتخلّق بها في قوله سبحانه : ﴿ تأمرون بالمعروف * وتنهون عن المنكر * وتؤمنون بالله ﴾ .

وقد خصّ الله أمة الإسلام بهذا ، لأنه هو دين إبراهيم الخليل أبو الأنبياء ، وهو الذي سمّى أمة محمد بالمسلمين ، فدين رضيه الله ، لخير أمة أخرجت للناس ، لابد أن يكون ديناً كاملاً ، ولا نقص فيه ، وبه تتم نعمة الله على عباده ، المخصوصين بهذا الدين ، و المتبعين له ، من كل جنس و لون ، و بأي موقع على وجه الأرض ، يقول سبحانه في سورة المائدة ، في آية نزلت في يوم الجمعة في عرفة في حجة الوداع : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم * وأتممت عليكم نعمتي * ورضيت لكم الإسلام ﴾ [المائدة/٣] .

فعن طارق بن شهاب ، قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنكم تقرأون آية في كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت ، لاتّخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال عمر: وأي آية ؟ قال : قوله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم * وأتممت عليكم نعمتي * ورضيت

لكم الإسلام دينا ﴾ ، قال : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشيّة عرفة ، في يوم جمعة . [رواه البخاري ، وأحمد بن حنبل]

وفي رواية : وإن ذلك لعيد عندنا .

قال ابن كثير رحمه الله : هذه أكبر نعم الله تعالى ، على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبيّ غير نبيهم عليه الصلاة والسلام ، و لهذا جعله الله سبحانه ، خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحلّه ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا شرعه ، وكل شئ أخبر به ، فهو حق وصدق ، لا كذب فيه ولا خلف ، كما قال تعالى : ﴿ وتمّت كلمة ربك صِدقاً وعدلاً ﴾ : أي صدقاً في الأخبار ، و عدلاً في الأوامر و النواهي ، فلما أكمل لهم الدين ، تمتْ عليهم النعمة . [١٤/٢]

وإن من نعمة الله على الخلائق أنسهم وجنهم ، الهداية لهذا الدين ، الذي فيه النجاة والسعادة ، النجاة في الآخرة ، والسعادة في الدنيا .. وليس شئ من ذلك يحصل بالمال الذي قد يشقى صاحبه ، ويكون وبالاً عليه .. يقول الشاعر :

لعمرك ما السعادة جمع مال و لكن التقيّ هو السعيد
و تقوى الله خير المال ذخرا و عند الله للأتقى مزيد

إن تقوى الله لا تكون إلا مع استقرار هذا الدين في القلب ، وتمكن محبة تعليماته : أوامر تؤتى ، ونواهي تحذر ، من الشغاف ، لينسى الفرد كل شئ في حياته ، إلا ما يحثّ عليه هذا الدين ، وهو لا يحث إلا على ما فيه الخير والمصلحة .. حيث استحوذت تشريعاته على أمور الحياة الدنيا صغيرها وكبيرها ، لتقود المهتدى إليه أنسياً أو جنياً ، إلى ما فيه نجاته وسعادته ..

و مـا أحس أحد مهما كان دينه السابق ، أو مركزه الاجتماعي في الحياة ، طعم هذا الدين ، الذي يختلف عن المذاقات المعهودة مهما كانت حلاوتها ، إلا وانصهرت تلك الحلاوة في دمه ولحمه ، لينسى كل شئ يخالف ما تدعو إليه شريعة هذا الدين .. ولتنصهر حواسه في بوتقة دين الإسلام : حماسةً وعملاً ، وبذلاً من ماله وجهده .. يقول صلى الله عليه وسلم : "ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً" .

وما ذلك إلا هذا الدين ، هو معتقد الإسلام ، دين الله الخالد ، الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وليس وقفاً على فئة من البشر أو الجنّ ، دون فتنة ، ولكن يسعد به من حرص عليه ، وهداه الله إليه ، واهتمّ به : تطبيقاً وعملاً في نفسه ، ودعوةً وتوجيهاً للآخرين ، وتبييناً وتعليماً لمن هم في حاجة إلى تعلمه ، أو لمزيد من التفقه في أوامره و نواهيه ، والوقوف عند حدوده ، والانتهاء بنواهيه .

ومن نعمة الله على أمة الإسلام ، أنه ما انحسر ظلّه في مكان ، بتهاون أتباعه فيه ، والابتعاد عن امتثال ما جاء في شرائعه من أوامر ، أو التساهل في النواهي ، إلا قيّض الله له أنصاراً في مكان آخر ، يحرصون عليه ويتحمّسون له ، وتنصهر محبته ، ومحبة أتباعه في قلوبهم ، بمحبة صادقة ، وتآلف ومودّة ، ألم يقل جلّ وعلا : ﴿ وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم * ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد/٣٨] .

ذلك أن هذا الدين ، ليس ميراثاً يتداوله قوم بعد قوم ، ولكنه نور يقذفه الله في القلب ، وهداية يمنّ بها الله على من يشاء من عباده ، بخلاف متاع الدنيا ، فإنما هو ابتلاء واختبار ، يقول صلى الله عليه وسلم : "إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب" .. فمن

أعطاه الله الدين ، وفقهه فيه ، فهو فضل من الله ، وعليه أن يؤدي حقه : بالعمل و التبليغ .. "فلأن يهدى الله بك رجلاً واحداً ؛ خير لك من حمر النعم" .. كما جاء في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وهذا الدين مهما يمرّ به من عقبات يضعها أعداؤه في سبيله ، ومهما يحاول الحاقدون عليه وعلى أهله حسداً وبغياً ، التصدى لطريق مسيرته : بقوة الجيوش ، وبالفكر والشبهات ، وبالبذل والمغريات ، أو بأي أسلوب يريدون به بلبلة الأفكار ، وإلهاء الناس عنه ، وشغله عن أداء واجباته ، بالمغريات والشهوات ، فإنه وإن هوت لذلك بعض الأفئدة ، فما هو إلا مضايقات تتصدى للقلوب الغافلة ، وحوادث تنبّه الأفئدة اللاهية ، حتى ترعوى وتشتد أكثر من ذي قبل ، لأن المثل العربي ، يقول : إن لكل جواد كبوة ، ولكل شباب صبوة .. وأخبر صلى الله عليه وسلم : "أن المسلم لا يرجع للكفر إلا كما يعود الحليب في الضرع" .

وأذكر في هذا الموقف حالتين ، قرأتهما قريباً ، وما أكثر ما في تاريخ الإسلام من حوادث مماثلة مفرحة يكون فيها عمق في الأثر ، ورسوخ و ثبات على المبدأ ، ليكون الجديد الداخل في الإسلام ، أكثر حماسة و دفاعاً عن دين الإسلام ، ودعوة إليه ، ممن تناسلوا في الإسلام .. لأن الداخل في دين الإسلام مجدداً ، يجد لذة ، ويرسخ في قلبه حب أمكن من الآخر الذي ولد في الإسلام ، وعاش فيه مراحل حياته .. لأن الأول وجد فارقاً بين حالة سابقة عاش فيها ، و قد يكون متفانياً في العصبية لمعتقده السابق ، فلما تحول منه إلى الإسلام ، وتغلغلت في سويداء قلبه عمق تعاليمه وبان له أثرها في النفس ، وما تعود به على المجتمع ، فإن هذا يعتبر تحولاً في جميع الحواسّ ، وانتقالاً من دور إلى دور .. دور الضياع والتقليد ، ثم العمل بدون روية

ولا فهم .. إلى دور الجدية ، التي تنقلب معها موازين الفكر ونتائج العمل ، بما يتركه هذا الدين في القلب من اطمئنان وراحة .

الموقف الأول : قرأته في صحيفة العالم الإسلامي ، التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي ، في العدد/١٧٠٥ عن خبر إسلام قرية بوذية في "تايلاند" بأكملها ، على يد راهب هداه الله للإسلام ، يقول ذلك الخبر : ذلك الراهب البوذيّ الذي قضى حياته في الرّهبنة ، وتعلم النحلة البوذية حتى غدا من علمائها ، ثم أتاه نور اليقين ليسلم إسلاماً فردياً ، لقد كان يشعر بثقل التبعة الملقاة على عاتقه ، لأنه كان إماماً في الكفر والضلال ، فأراد أن يكون إماماً للمتقين ، وكان له ما أراد ودعا الله به .

لقد سارع في نشر دعوة الإسلام ، في قريته "شايو" القريبة من العاصمة "بانكوك" ، وكما روى قصته لموقع الشبكة الإسلامية ، فقد استجاب له معظم عشيرته ، وأسلمت قرابة سبعين أسرة ، ولكن إسلام تلك الأسر كان عجيباً ، لقد كان يسلم الرجل ، ولا تسلم زوجته ، وتسلم المرأة ، ولا يسلم زوجها ، أو يسلم الابن ، ولا يسلم أبواه ، فكانت قصص الإسلام التي نقرأ عنها في السيرة ، تتكرر بحذافيرها في تلك القرية .

بل إن أذية المشركين والكفار من البوذيين لأسر المسلمين ، كانت بنفس التفاصيل التي سمعناها عن الرعيل الأول ، لقد أطلقوا عليهم الكلاب ، وسبّوهم وأقذعوا لهم القول .. و قد وصل الأمر إلى محاولة القتل لبعض المسلمين هناك .

وكان كل هذا يقابل بالصبر الجميل ، من الشيخ "الراهب سابقاً" ، فعمد الشيخ عبد الرحمن – وهذا هو اسمه بعد ما اعتنق الإسلام ، إلى بناء سكن خيري لمساعدة المسلمين الجدد ، الذين يطردون من بيوتهم ، ليكون لهم مكان يؤويهم ، ولا يحتاجون إلى ذويهم ، فيشعرون بالعزة الإسلامية ، ويعتصمون بدين الله تعالى الحق ، وكان له ما أراد .

هكذا يعيش المسلمون الجدد ، في بلاد تمتلئ بالأصنام ، والأوثان والشرك الصريح ، إنه إسلام يشبه إسلام الصحابة رضي الله عنهم ، لقد رأى الشيخ عبد الرحمن ، أن أقوم وسيلة لتثبيت الدين الحق في قريته ، أن يقيم مجتمعاً مسلماً ، فعمد إلى بناء مسجد ، بتبرعات المسلمين في "تايلاند" ، وكانت قليلة إلى حد كبير ، ولكنها كانت كافية نوعاً ما ، وكفيلة بإقامة ما يتعبّدون فيه ببناء متواضع لأول مسجد يبنى في تايلاند وسطه قرية بوذية بأكملها ، لأن معظم المساجد في تايلاند ، تبنى في مناطق تجمع المسلمين ، ومع أن الشيخ عبد الرحمن لم يتعلم العربية في صغره ، إلا أنه سعي بعد إسلامه لتعلم العربية ، حتى يستطيع قراءة القرآن الكريم ، و بالفعل نجح في هذا ، و من ثم سعى في تعلم الإسلام ، فاستطاع أن يحصل على قدر لا بأس به من المعارف الدينية الإسلامية ، التي تؤهله لأن يدعو إلى دين الله تعالى ، في محيط مجتمعه الكبير . [ص/١٦]

ولهذا نظائر – بحمد الله – إذْ أسلمت قرية كاملة قبل سنوات ، وتبعتها قرى أخرى بسبب قسَ سبَ الإسلام وتعرض للقرآن الكريم ، ودعا على نفسه إن كان كاذباً ألا يرجع إلى بيته سالماً ، فأجاب الله دعوته ، فزلت قدمه عند خروجه من الكنيسة ، و سقط في ترعة ماء فمات في الحال .. وكان موته هذا سبباً لإسلام تلك الأعداد الكثيرة .

وقبلها قصة المناظرة التي تمت في جنوب السودان ، فأسلم خمسة من القساوسة ، ثم تبعهم غيرهم ، ثم أسلم لإسلامهم ما يقرب من خمسين ألف من القبائل هناك .. وقد ألف الدعاة في السودان في المناظرة وإسلام هؤلاء كتاباً طبع .

أما الموقف الثاني : فقرأته في إحدى المجلات : عند ما أسلمت أسرة يهودية بكاملها في إحدى الدول العربية ، و كان ذلك في النصف من

رمضان ، الذي يقترب موعده ، مع مناسبة يوم معركة بدر الكبرى ، التي أعز الله فيها الإسلام ، و أذلّ الشرك و أهله ، بقتل صناديد الكفر من قريش ، وذلك حينما أعلنت الإسلام أسرة يهودية ، مكونة من تسعة أشخاص ، منهم خريج الجامعة ، والعامل وطالب في السنة السادسة الإعدادية ، ومعلمة ، وربات بيوت ، ومعهم طفلة في الرابع ابتدائي ، صائمة رمضان مع الأسرة ، منذ بداية الشهر، ما أفطرت إلا أياماً قلائل ، ومنهم من كان يكتم إيمانه منذ سنوات ، ولكنهم في هذا الشهر المبارك أعلنوا إسلامهم ، و شهدوا بالوحدانية لله جلّ وعلا ، موقنين أن الإسلام هو الدين الذي بشر به موسى وعيسى ، والنبيون عليهم السلام ، وأنه مصداق العهد الذي أخذه الله على كل نبيّ ، أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، حين يسمع دعوته .. ثم يقول كاتب الخبر: قد رأيت أفراد هذه الأسرة ، ودموع الفرح تعانق شفاه المهنئين من إخوتهم في الله ، فكل فرد منهم كان موضع اهتمام ورعاية كل مسلم صادق في هذه المدينة [ص/٥١] .

وما روي عن الإمام أبي حنيفة مع جاره اليهوديّ ، الذي آذاه بقاذورات بيته عشر سنوات ، ولما مرض أبو حنيفة زاره ذلك اليهوديّ ، ولما جلس عند أبي حنيفة ، وضع كمّه على أنفه ، وقال لأبي حنيفة : منذ متى ، وهذه الرائحة عندكم ؟! في استفهام تقريريّ ، ليرى الأثر عند أبي حنيفة .. فأجابه بهدوء : منذ جاورتنا ، والجواب له دلالته ، إذْ كلمة بسيطة من أبي حنيفة ، لدى الخليفة العباسيّ ، كفيلة بإيقاع العقاب الشديد على اليهودي ، وعبرة يخاف منها غيره .. ولكنها أخلاق الإسلام ، و وسيلة من وسائل الدعوة إلى دين الله الحق الخالد إلى أن تقوم الساعة .

فرد اليهودي ، ولماذا لم تخبرني بذلك لأزيله .. مع أنه متعمد ذلك ، ولكن يريد أن يعرف ما لدى الإمام أبي حنيفة .. فقال له أبو حنيفة : إن

للجار حقاً وصانا عليه الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجب أن نرعى هذا الحق ، ونتحمل في سبيله .. عندها قال اليهودي : دين هذه أخلاق أتباعه ، إنه لخير دين ، ثم نطق بالشهادتين وأسلم ، وتبعته عائلته وأقرباؤه .

و المواقف المماثلة كثيرة جداً ، و في كل موضع في أرض الله الواسعة ، نجد مثيلاً مما يجب معه أن ندرك نحن أبناء الإسلام الدور المطلوب منا نحو هذا الدين : تعريفاً ودعوةً ومثالية في العمل ، تحقيقاً لأمر الله الكريم : ﴿ وإنه لذكر لّكَ ولقومكَ * وسوف تُسألون ﴾ .[الزخرف/٤٤] .

دهاء ابن الجصاص :

ذكرت نوادر كثيرة ، تتهم ابن الجصاص بالتفضيل ، حتى ذكره ابن الجوزي في كتابه : من المغفلين والحمقى لكن حقيقة الأمر أنه في منتهى الدهاء والفطنة ، فقد ذكر ما نسب إليه من التغفيل والذكاء ، ومن ذكائه و دهائه ، قال : عن التنوخي بسنده إلى بعض الشيوخ ، قال : كنا بحضرة أبي عمر القاضي ؛ فجرى ذكر ابن الجصاص ، وغفلته ، فقال أبو عمرو : معاذ الله ، ما هو كما يقال عنه : ولقد كنت عنده منذ أيام ، وفي صحن داره سرادق مضروب ، فجلسنا بالقرب منه نتحدث ، فإذا بصرير نعل من خلف السرادق ، فقال : يا غلام ! جئني بصاحب هذا النعل ، فأخرجت إليه جارية سوداء ، فقال : ما كنت تصنعين ها هنا ؟ قالت : جئت إلى الخادم أعرفه أني قد فرغت من الطبيخ ، واستأذن في تقديمه ، فقال : انصرفي لشأنك ، فعلمت أنه أراد يعرفني بذلك الوطء ، أنه وطء جارية سوداء مبتذلة ، وأنها ليست من حرمه ، فهل يكون هذا من التغفيل .

وذكر حكاية أخرى ؛ فقد كان ابن الجصاص حاضراً عند علي بن الفرات الوزير فتحدثوا في أحسن شئ يدخره الناس لأولادهم ، فقيل الضياع ، وقيل العكار ، وقيل المال الصامت ، وقيل الجوهر الخفيف ، وغير

ذلك ، و ابن الجصاص سألت ؛ فقال له ابن الفرات : و أنت ما تقول ؟ فقال : أجلّ ما يدخره الناس لأولادهم الضياع والإخوان ، ولا ينفع شئ بدون الإخوان ، وأحدّث الوزير بحديث جرى منذ مدة يبرهن على صدق قولي .. فالناس يعرفون أن أبا الحسن كان رجلاً مشتهراً بالجوهر يدخر ولنفسه ، ولولده ، وجواريه ، فكنت جالساً يوماً في داري : فقيل بالباب امرأة تستأذن ، فأذنت ودخلت ، وقالت : تخلى مجلسك ، فأخليته ، فقالت : أنا فلانة جارية أبي الحسن ، فعرفتها ، وبكيت لحالها ، ودعوت غلماني لإحضار ما أغير به حالها ، فقالت : لا تدعهم ، وأنا غنية وفي كفاية ، ولما جرى على أبي الحسن ما تعرفه تشتّتنا ، وكان لي جوهر قد وهبه لي و لابنته مني فلانة ، و هي معي ، فخشيت أن أظهره بمصر فيؤخذ مني ، فخرجت به ، ووصلت بغداد مع المال سالمين ، فأخرجت من الجوهر ما قيمته خمسة آلاف دينار لأبيعه في السوق ، فبلغ ألفين ، فقلت : هاتوا ، فلما أحضروا المال ، قالوا : أين صاحبه ؟ قلت : أنا هي ، قالوا : ليس محلك ذلك ، وأنت لصّه ، فعلقوا بي ليحملوني إلى صاحب الشرطة ، فخشيت أن أعرف ، فيؤخذ الجوهر ، و أطالب بمال ، فرشوتهم و تركت الجوهر وأتيتك ، حيث لم أنم البارحة غماً وخشيةً ، فأنا غنية فقيرة ، وأريد منك جاهك ، وعرفت منها من أخذ الجوهر فاستدعيته ، وقلت له : هذه امرأة من داري ، و أنا الذي أعطيتها الجوهر لتبيعه ، و لا يراني أحد لأعرف قيمته ، فلم تعرضتم لها ؟ فقالوا : ما علمنا ذلك ، فأخذت منهم الجوهر ، وبعته لها بأكثر من خمسة آلاف دينار ، فاشتريت لها داراً وضياعاً ، فهي تعيش في ذلك و ولدها إلى الآن ، و الجوهر في يدها بلا صديق كالحجر ، بل كان سبباً في مكروه ، قال : فهل ينسب هذا الرجل إلى التغفيل ، وكيف يكون مغفلاً ؟ [أخبار الحمى والمغفلين : ص/٤٨-٤٩]

* * *

أصول المعاش الإسلامي
في ضوء الكتاب والسنة

[٢]

بقلم : الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي
(محاضر بدار العلوم الإسلامية بستي - الهند)

٣- الملكية الشخصية في حدود الله جلّ ثناؤه :

ويتضح من النصوص الشرعية الباهرة أن الملك الشخصي صحيح ثابت تحت الملك الكامل الأعلى لله تعالى ، وفي حدود وضعها الله بدون أي إفراط وتفريط ، نذكر لكم بعض تلك النصوص :

﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراض منكم ﴾ [سورة النساء/٣٩] .

﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون * وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ [سورة النساء/٧] .

﴿ لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم * حتى تستأنسوا ﴾ [سورة النور/٢٧].

﴿ وأحلّ الله البيع * وحرّم الربا ﴾ [سورة البقرة/٢٧٥] .

﴿ إذا تداينتم بدَينٍ إلى أجل مُسمّى * فاكتبوه ﴾ [سورة البقرة/٢٨٢].

﴿ و إن تُبتم فلكم رؤوس أموالكم * لا تَظْلِمُونَ * و لا تُظْلَمُون ﴾ [سورة البقرة/٢٧٩]

﴿ وإن كُنتم على سفر * ولم تجدُوا كاتباً فَرِهانٌ مَّقبُوضة ﴾ [سورة البقرة/٢٨٢]

﴿ والسّارقُ والسّارقةُ * فاقطعوا أيديهما * جزاءاً بِمَا كسباً ﴾ [سورة المائدة/٢٨]

﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ [سورة الأنعام/١٤١] .

﴿ خُذْ من أموالهم صدقةً ﴾ [سورة التوبة/١٠٢] .

﴿ وآتوا اليتامى أموالهم * ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب * ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ [سورة النساء/٣] .

﴿ وأُحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مُسافحين ﴾ [سورة النساء/٣٤] .

﴿ وآتوا النساء صَدُقاتهنّ نحلة ﴾ [سورة النساء/٤] .

﴿ وإن أردتُم استبدال زوج مكان زوج * وآتيتُمْ إحداهُنّ قِنطاراً * فلا تأخُذُوا منه شيئاً ﴾ [سورة النساء/٣٠] .

﴿ أولم يَرَوا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً * فهم لها مالكون ﴾ [سورة ياسين/٧١]

﴿ مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله * كمثل حبّةٍ أنبتتْ سبع سنابل في كل سُنبلة مائة حبّة ﴾ [سورة البقرة/٣٦١] .

﴿ وفي أموالهم حقٌّ للسّائل والمحروم ﴾ [سورة الذاريات/١٩] .

﴿ وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ [سورة الصف/١١] .

فإن سائر هذه الأحكام و التوجيهات المذكورة أعلاه لا يمكن أن يتصور بدون الملك الشخصي ، فالإسلام يضع خطّة حكيمة معاشية تبتني في جميع نواحيها وأنواعها على الحقوق المالكة للبشر، ولا يوجد في الإسلام أي فرق بين أشياء الصرف ، و وسائل الحاصلات والمنتجات ، بحيث تكون أشياء الصرف مقتصرة في الملك الشخصي ، وتُجعل وسائل الحاصلات ملكاً اجتماعياً ، كذا لا يوجد فيه فرق بين الثروة المكتسبة بكد اليمين وعرق الجبين ، والثروة الحاصلة بدون أي كدّ وجهد ، فمثلاً يكسب رجل ثروة بالتجارة بكل كد وجهد ، ويكسب ثروة أخرى إرثاً من أمه أو أبيه أو جده أو زوجته أو أخيه أو أخته بدون أي جهد ، فليس بينها أي فرق وبون لدى

الإسلام ، وكذا مال الزكاة يحصل للمتزكى له – الفقير – بدون جهد .

كذا لا يوجد أيّ تصريح وإشارة إلى أن الملك الشخصي أمر موقت عارض زائل ، والغاية هو إقامة النظام الملكي الاجتماعي بدلاً من الملك الشخصي ، كلاّ : فلو كانت الغاية إقامة نظام الملك الاجتماعي لَوُجد – لا محالة – تصريح به وتوجيهات بصدده في النصوص الشرعية .

وليس من السديد أن نقول بأن المراد من الآية القرآنية : ﴿ إنّ الأرض لله ﴾ إبطال الملك الشخصي الفردي للأرض ، وإقامة الملك الاجتماعي القومي ، لأن القرآن قد صرح : ﴿ لله ما في السماوات * وما في الأرض ﴾ [سورة البقرة/٢٨٤] ، ولا يمكن القول في ضونها بإباء الملك الشخصي في كل شئ من الأرض والسماء ولا بإثبات كل ما فيها ملكاً قومياً اجتماعياً .

كذا لا يصح أن نفسر الآية القرآنية : ﴿ وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسّائلين ﴾ [سورة حم السجدة/١٠] .

بأن الله يريد توزيع جميع الوسائل الغذائية الأرضية ، وتقسيمها في الناس بكل مساواة وعدل ، ولا يمكن أن تتحقق هذه المساواة إلا بالملك الاجتماعي ، ولذا الغاية إقامة النظام الاجتماعي للملك .

فهذا التفسير ليس بصائب أصلاً ، لأن حكمة "سواءً" لا تنوط في الآية بكلمة : "السائلين" إنما هي تنوط بكلمة : "أيام" كما صرح به البيضاوي والآلوسي والزمخشري والرازي وغيرهم من المفسرين ، ومعنى الآية : إن الله قدر الأقوات في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ، وهذا إخبار وإجابة للذين يسألون عن ذلك .

ولو قلنا على سبيل الفرض والتقدير أن الكلمة : "سواءً" تنوط بالسائلين ، فلا يصح أن نريد بالسائلين البشر فقط ، بل يندرج في السائلين مع البشر جميع أنواع الحيوانات التي قد أعدّ الله وسائل رزقها في أرضه

الواسعة ، فثبت أن الآية إن دلت على مساواة سهام جميع السائلين وحظوظهم ، فلا يدل على اختصاص هذا الاستحقاق للمساواة بالبشر فقط ، بل يشمل عموم الآية – في هذا التفسير– الحيوانات ، فهل من السديد والمعقول إقامة مساواة معاشية بين الإنس والبهائم ؟

أما بعض المفسرين الذين قد رأوا بتعلق الكلمة : "سواء" بالسائلين – وعلى رأسهم ابن زيد وغيره – فهم يقولون بأن معناه : مستوٍ مهيأ أمر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين إليها من البشر معبّر بالسائلين عن الطالبين المحتاجين ، لأنهم من شأنهم ، ولابد ، طلب ما ينتفعون به إذ هم مجال حاجة . [البحر المحيط –لأبي حيان : ج/٩ ، ص/٣٨٨]

وقد كتب الإمام ابن كثير في تفسيره : وقال ابن زيد : معناه ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له حاجة إلى رزق أو حاجة ، فإن الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه ، وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ لأن السؤال في هذه الآية : ﴿ من كل ما سألتموه ﴾ في معنى الاحتياج ، والطلب ليس بلازم وشرط ، لأن الله جلّ وعلا آتى هذه النعم عباده الذين لم يطلبوها منه . [ابن كثير : ج/٦ ، ص/١٦٤ ، دار الأندلس بيروت]

أما التفسير الذي تنوط كلمة : "سواء" فيه بالأيام ، فهو أسلم وأحوط .

كذا الآيات القرآنية التي تولي قضية إيصال الرزق إلى الضعفاء من البشر اهتماماً بالغاً ، فلا يصح الاستدلال بها على أن الإسلام يبغي إقامة نظام الملك الاجتماعي لتحقيق غاية إيصال الرزق إلى ضعفاء الناس ، بل القرآن الكريم كلّما ذكر هذا الأمر قد أشار إلى طريق واحد لتحقيقه ، وهو أن ينهض الأثرياء من المجتمعات ، وينفقوا شيئاً من أموالهم ، و ثرواتهم الطائلة على أقاربهم الفقراء ، واليتامى والمساكين ، والسائلين و المحرومين ،

ابتغاء لرضا الله واحتسابا ، كذا تأخذ الدولة الإسلامية سهاما مقررة من أموالهم ، وتنفقها على هؤلآء الفقراء المحتاجين .

ولا نجد في القرآن الكريم أيَّ طريق آخر لتحقيق هذه الغاية السامية .

و مما لا ريب فيه أن الحاجة حينما مسّت إلى إقامة الملك الاجتماعي في أشياء خاصة بدلاً من الملك الشخصي ، فلا ينهى عنه الإسلام ، و لا الكتاب والسنة ، ولكن فكرة رفض الملك الشخصي بأجمعه ، والإلحاح على إقامة نظام الملك الاجتماعي ، والدعوة إليه لا توافق شيئاً والخطط الإسلامية الحكيمة التي وضعها الله في قضية المعاش البشري .

٤- الالتزام بالحدود الإسلامية والوسطية :

إن الله جلّ وعلا ! هو فاطر النعم وخالقها ، وقد خلقها ليتمتع بها عباده ، ولا يريد الله قطّ أن يتجنب العباد نعمه ، ويسلكوا على الطريقة المبتدعة من الرهبانية وترك الدنيا ، وكل ما يبغيه الإسلام هو التمييز بين الخير و الشر ، و الطاهر و النجس ، والحلال و الحرام ، ثم قصر الانتفاع و التمتع على الحلال الطيب فحسب ، و عدم مجاوزة حدود الاعتدال و الوسطية فيه ، يقول الله جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ : مَنْ حرّم زينة الله التي أخرج لعباده * والطيّبات من الرزق ﴾ [سورة الأعراف/٣٢] ، و قال : ﴿ وكُلُوا مما رزقكم الله حلالاً طيّباً * واتّقُوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ [سورة المائدة/٨٨] ، ﴿ و رهبانية ن ابْتَدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقّ رعايتها ﴾ [سورة الحديد/٣٧] ، ﴿ يا أيها الناس ! كُلُوا مما في الأرض حلالاً طيباً * و لا تتبعوا خُطُوات الشيطان * إنّه لكم عدوٌ مبينٌ ﴾ [سورة البقرة/١٦٨]، ﴿ كُلُوا واشْرَبُوا * ولا تُسرفوا * إنه لا يُحبُّ المسرفين ﴾ [الأعراف/٣٢] .

٥- الالتزام بالطريق المباح الحلال في كسب المال :

إن الإسلام قد أوجب كسب المال على الطرق المشروعة ، وأكّد تجنّب الطرق المحظورة نهياً باتاً ، هذا ما صرح به الكتاب الحكيم ، فقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ! لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم * ولا تقتلوا أنفسكم * إن الله كان بكم رحيماً ﴾ [سورة النساء/٣٩] فعلم أن التراضي من الأمور اللازمة ، وكل ما يضاده محظور .

وقد روى سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة ؛ فاتضح أن كسب الحلال فريضة بعد الفرائض الأساسية الإسلامية .

[رواه البيهقي في شعب الإيمان]

٦- بعض الطرق المحظورة لكسب المال :

إن هناك طرقاً كثيرةً محظورةً لكسب المال ، وتفاصيلها في كتب الحديث والفقه ، نشير ههنا إلى بعض منها في ضوء بعض الآيات ، والأحاديث الشريفة .

يقول الله جلّ وعلا : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل * وتُدلوا بها إلى الحكّام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم * وأنتم تعلمون ﴾ .

[سورة البقرة/١٨٨]

والإدلاء بالأموال إلى الحكام هو الإلقاء بحكومتها والخصومة فيها إلى الحكام ، وكذا إلقاء بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة .

[انظر : روح المعاني للآلوسي : ج/١ ، ص/٤٦٦]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحلّ مال امرء مسلم إلا بطيب نفسه .

ومنها الخيانة في الأمانة :

كما قال الله تعالى : ﴿ فإنْ أمِنَ بعضكم بعضاً * فليؤدّ الذي اؤتُمن أمانته * وليتّق الله ربّه ﴾ [سورة البقرة/٢٨٣] .

ومنها الخيانة في أموال الغنائم وأموال العامة :

﴿ ومَنْ يَغلل يأت بما غلّ يوم القيامة * ثم توفّى كل نفس ما كسبت * وهم لا يُظلمون ﴾ [سورة آل عمران/١٦١] ، وقال ابن عباس رضي الله

عنه : ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب .

[موطأ الإمام مالك]

ومنها السرقة :

﴿ و السّارق و السّارقة * فاقطعوا أيديهُما * جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ﴾ [سورة المائدة/٣٨] .

ومنها قطع الطريق و الغارة و النهب :

﴿ إنّما جزاءُ الذين يُحاربون الله * ورسوله * ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا * أو يُصلّبوا * أو تُقطّع أيديهم * وأرجلهم من خلاف * أو يُنفوا من الأرض .. ﴾ [سورة المائدة/٣٣] ، وقد كتب الإمام أبو بكر الجصاص الرازي بصدد الآية : إنه سمّى الذين يخرجون ممتنعين مجاهرين بإظهار السلاح ، وقطع الطريق محاربين ...

[أحكام القرآن الكريم : ج/٣ ، ص/٤٠٦ بيروت]

و منها أكل مال اليتيم :

قال الله تعالى : ﴿ إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً * إنّما يأكلون في بطونهم ناراً * و سيصلون سعيراً ﴾ [النساء/١٠] ، و قال : ﴿ ولا تأكلوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [الأنعام/١٥٣] ، وقال : ﴿ ويسألونكَ عن اليتامى * قُلْ : إصلاح لّهم خير * وإن تُخالطوهم فإخوانكم * والله يعلمُ المفسد من المصلح ﴾ [سورة البقرة/٢٣٠] .

وإنما علق الله جلّ وعلا الوعيد على الأكل من أموال اليتامى بالأكل ظلماً ؛ لأنه قد يأكل مال اليتيم على وجه الاستحقاق كالأجرة والقرض مثلاً ، فلا يكون ظلماً ، ولا الآكل ظالماً ، وقيل : ذكر الظلم للتأكيد والبيان ؛ لأن أكل مال اليتيم لا يكون إلا ظلماً ، ومن أخذ مال اليتيم قرضاً أو أجرةً ، فقد أكل مال نفسه ، ولم يأكل مال اليتيم .

[روح المعاني للآلوسي : ج/٣ ، ص/٤٣٤]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ! وما هنّ ، قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، و أكل مال اليتيم ، و التولي يوم الزحف ،

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات . [متفق عليه]

ومنها نقص الكيل والوزن : ﴿ ويلٌ للمُطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ﴾ [التطفيف/١-٣] ، وقال : ﴿ وأوفوا الكَيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم * ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [الإسراء/٣٥] ، وقال : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط * ولا تخسروا الميزان ﴾ [الرحمن/٩] ، وقال : ﴿ وأوفوا الكَيل والميزان بالقسط ﴾ . [سورة الأنعام/١٥٢]

وقد أهلك الله قوم شعيب ، ودمّرهم على ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان ، وقال ابن عباس رضي الله عنه : ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق . [موطأ الإمام مالك]

ومنها الكسب بالزنا : كما قال الله تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء * إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ . [سورة النور/٣٣]

وكتب الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بصدد الآية : كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني ، وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت ، فلما جاء الإسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك ، وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن أسلول ، فإنه كان له إماء ، فكان يكرههن على البغاء طلباً لخراجهن ، ورغبة في أولادهن ، ورئاسة منه فيما يزعم .

[ابن كثير : ج/٥ ، ص/٩٧]

وقال تعالى : ﴿ الزّانيةُ والزّاني * فاجْلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [النور/٣] ، وقال : ﴿ ولا تقربوا الزنى * إنّه كان فاحشةً ومقتاً * وساء سبيلاً ﴾ [سورة الإسراء/٣٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم : كسب الحجام خبيث ، و مهر البغي خبيث ، و ثمن الكلب خبيث [جامع الترمذي] و هناك عشرات من الأحاديث تدل على

أن الزنا ، والكسب به كليهما حرام محظور قطعا .

ومنها الخمر و الميسر والأنصاب والأزلام : كما قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام * رجسٌ من عمل الشيطان * فاجتنبوه لعلّكم تفلحون ﴾ [المائدة/٩٠] ، وقال صلى الله عليه وسلم : ولا يشرب الخمر حين يشربها ، وهو مؤمن [متفق عليه] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدّقْ ، وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء ، وكل مسكر حرام .

[مسند الإمام أحمد (١)]

فالخمر هو المسكر المتخذ من عصير العنب أو كل ما يخامر العقل ، و يغطيه ، من الأشربة ، كما يضح من رواية ابن عباس رضي الله عنه : و الميسر : هو القمار ، والأنصاب : هي ما نصب للعبادة من صنم أو حجر غير مصور أو غير ذلك من سائر ما ينصب للعبادة ، و الأزلام : هي القداح والسهام التي كانوا يجعلون عليها علامات ؛ افعل ولا تفعل ، ونحو ذلك ، فيعملون في سائر ما يهتمّون به من أعمالهم على ما تخرجه تلك السهام من أمر أو نهى أو إثبات أو نفي ، و هذه كلها رجس حرام من عمل الشيطان ، ولنكن على بينة أن كل ما حرم في الإسلام ، فمحرم تجارته وصناعته أيضاً ، فإن التحريم يتطلب حرمة الانتفاع به بأي طريق كان .

---

(١) وقال صلى الله عليه وسلم : لعنت الخمر على عشرة أوجه : لعنت الخمر بعينها ، وشاربها ، وبائعها ، ومتباعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها [سنن أبي داؤد وابن ماجة] ، وقال سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه : اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ... فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه [البيهقي] .

ومنها الربا : قال الله تعالى : ﴿ وأحل الله البيع * وحرم الربا ﴾ [سورة البقرة/٢٧٥]، وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! اتقوا الله * وذروا ما بقي من الربا * إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله * وإن تُبتُم فلكم رؤوس أموالكم * لا تَظْلِمُونَ * ولا تُظْلَمُون * وإن كان ذو عُسرة * فنظرةٌ إلى ميسرة * وأن تصدقوا خيرٌ لكم * إن كنتم تعلمون ﴾ [البقرة/٢٧٨-٢٨٠]، و قال الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً ﴾ [سورة آل عمران/١٣٠] .

إن هذا الوعيد الشديد – من إعلان الحرب – يؤشر إلى شدة حرمة الربا ، و قد قال الله جلّ وعلا : ﴿ يمحق الله الربا * و يُربى الصدقات * والله لا يُحبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أثيم ﴾ [البقرة/٢٧٦] ، و محق الربا هو إذهابه بالكلية من يد صاحبه أو حرمانه بركة ماله ، فلا ينتفع به ، بل يعدمه في الدنيا ، و يعاقب عليه في الآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ : لا يستوي الخبيث والطيب * ولَو أعجبكَ كثرةُ الخبيث ﴾ [المائدة/١٠٠] ، وقال : ﴿ ويجعل الخبيث بعضه على بعض * فيركمه جميعاً * فيجعله في جهنم ﴾ [الأنفال/٣٧] ، وقال : ﴿ وما آتيتم من رِّباً ليربو في أموال الناس * فلا يربو عند الله ﴾ [الروم/٣٩] ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أتيت ليلة أُسْرِي بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تُرى من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلآء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلآء أكلة الربا [مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة] ، وقال : الربا سبعون جزءً أيسرها أن ينكح الرجل أمّه [سنن ابن ماجة] ، وعن جابر ؛ قال : لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آكل الربا و مؤكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء [رواه مسلم] ، وقال صلّى الله عليه وسلّم : إن الربا وإن كثر ، فإن عاقبته تصير إلى قلّ [سنن ابن ماجة ومسند الإمام أحمد] ، وقال صلّى الله عليه وسلّم ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا ، فإن لم يأكله أصابه من بخاره .

[سنن ابن ماجة والنسائي]

وعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : يقال يوم القيامة لآكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، ثم قرأه : ﴿ فإن لم تفعلوا * فأذنوا بحرب من الله و رسوله ﴾ فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه كان حقاً على إمام المسلمين أن يستتيبه ، فإن نزع وإلا ضرب عنقه [انظروا : تفسير ابن كثير: ج/١ ، ص/٥٨٧] ، و قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله عن ثلاثة و ثلاثين زنية يزينها في الإسلام . [الترغيب والترهيب : ج/٣ ، ص/٥]

وقد ظهرت طائفة من المتنورين تحصر حرمة الربا في طرق خاصة ، وترى بأن الأموال الزائدة الحاصلة من البنوك لا تندرج في إطار الربا ، وهذا قول لا يوافقه أي نص من الكتاب والسنة ، وليس في وسعنا في هذا المقام أن نستعرض ما يقدمونه من الدلائل ، ونوضح القضية بتفاصيلها .

ومنها الرشوة : كما روى عن عبد الله بن عمرو : لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الراشي والمرتشي . [سنن أبي داؤد وابن ماجة]

ومنها الغصب : كما قال صلّى الله عليه وسلّم : من ظلم قيد شبرة من الأرض طوّقه من سبع أرضين ، و قال صلّى الله عليه وسلّم : لا يحل لمسلم أن يأخذ عصاً بغير طيب نفس منه . [الترغيب والترهيب : ج/٣ ، ص/٩و١١، طبع دار الكتب العلمية بيروت]

ومنها عدة أنواع البيع الفاسد والباطل ، وعقود تشيع بها الفاحشة في الناس ، ولهو الحديث فيهم ، والأغنية ، والرقص ، والموسيقى ، وصناعة التماثيل ، ونحت الأصنام وبيعها ، و التوظيف والعمل في المعابد الوثنية ، والبيع بالاستقسام بالأزلام والكهانة وغيرها .

و إن من ميزة الإسلام أنه قد ميّز بين الحلال والحرام في وسائل الكسب بما لا نجد معشاره في أي نظام آخر ، فالإسلام نهى عن كل ما يتسبب لإضرار الناس ، والمجتمعات مادةً أو خلقاً ، ولذا نرى في النظام المعاشي للإسلام عدداً طويلاً للطرق المحظورة لكسب المال ، لا يسع أن نقدم سائر تفاصيلها في هذه العجالة ، ومن أراد التفصيل ، فليراجع إلى أمهات كتب الحديث النبوي ، والفقه الإسلامي .

[يتبع]

إطعام الطعام في الإسلام

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

لإطعام الطعام مسئولية عظمى تقع عل عاتق القادرين والميسورين من المسلمين في الدنيا ، ومكانة كبرى جزاء للقائمين عليه منهم في الآخرة ، ولبيان عظم هذه المسئولية الدنيوية ، فقد دعا القرآن الكريم إلى إطعام المسكين ، ورعايته ، وحذر من إهماله وإضاعته ، بل وقد زاد على ذلك بان جعل في عنق كل مؤمن حقاً للمسكين أن يحض غيره من المؤمنين على إطعامه ، والقيام بحقه ، وجعل ترك هذا الحق قريناً للكفر بالله العظيم ، وموجباً لسخطه ، وعذابه في الآخرة في نار جهنم ، فيقول تعالى في شأن أصحاب الشمال في سورة الحاقة : ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله ، فيقول : يا ليتني ! لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها ! كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه ﴾ [الحاقة/٢٥-٢٩]، ثم يقضى فيه أحكم الحاكمين قضاءه العادل بالعقاب الذي يستحقه : ﴿ خُذُوهُ فغُلُّوهُ * ثم الجحيم صلُّوهُ * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً * فاسلكوه ﴾ [الحاقة/٣٠-٣٢] ، ثم يذكر أسباب هذا الحكم الصارم ، فيقول : ﴿ إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحُضُّ على طعام المسكين ﴾ [الحاقة/٣٣-٣٤] أي لا يحث غيره من أعضاء المجتمع على إطعام المسكين وإشباع حاجاته ، وفي سورة الماعون جعل الله تعالى من علامات التكذيب بالدين قهر اليتم ، وعدم الحض على إطعام المسكين ، فقال عزّوجل : ﴿ أرأيت الذي يُكذّبُ بالدّين * فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم * ولا يحضُّ على طعام المسكين ﴾ [الماعون/١-٣] ،

وفي سورة الفجر ؛ خاطب الله تعالى المجتمع الجاهلي المتظالم بقوله : ﴿ كلا ! بل لاَ تُكرمُون اليتيم * ولا تحاضُّون على طعام المسكين ﴾ [الفجر/١٧-١٨] و التحاض تفاعل من الحض ، فمعنى لا تحاضون : أي لا يحض بعضكم بعضاً ، وفيه دعوة المجتمع كافة إلى التعاون والحض على رعاية المسكين وإطعامه ، وإذا كان أصحاب الشمال والجاهليون والمكذبون بالدين لا يحضون على طعام المسكين ، ولا يعنون بأمره ، فمن واجب المؤمنين والمصدقين بالدين إطعام المسكين ، والحض على إطعامه ، وفي سورة القلم ؛ يقص الله علينا قصة أصحاب الجنة الذين تواعدوا أن يقطفوا ثمارها بليل ليحرموا منها المساكين الذين اعتادوا أن يصيبوا شيئاً من خيرها يوم الحصاد فحلت بهم عقوبة الله العاجلة : ﴿ فطاف عليها طائف من ربك و هم نائمون * فأصبحت كالصريم * فتنادَوا مُصبحين * أن اغْدُوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخُلنَّها اليوم عليكم مسكين * وغدَوا على حرد قادرين * فلما رأوها * قالوا : إنا لضالُّون * بل نحن محرومون ﴾ [سورة القلم/١٩-٢٧] إلى أن قال : ﴿ كذلك العذاب * ولعذاب الآخرة أكبر * لو كانوا يعلمون ﴾ [سورة القلم/٣٣] .... (١) .

كما يرى الإسلام إنه إذا بات فرد واحد جائعاً ، فالأمة تبيت آثمة ما لم تتحاض على إطعامه ، ففي الحديث الشريف : "أيما آهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً ، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى" ... (٢) ، كما قال عليه الصلاة و السلام : " أي رجل مات ضياعاً بين أغنياء ، فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله" ، وقال : "ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جانبه طاو أي جائع" ، فإذا جاع إنسان واشتد جوعه أو عطشه أو مرضه ،

(١) مشكلة الفقر ، وكيف عالجها الإسلام ؛ يوسف القرضاوي : ص/١١٣-١١٤.
(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام ؛ سيد قطب : ص/٧٦-٧٧ .

حتى عجز عن طلب القوت ، وأشرف على الهلاك ، ففرض على كل من علم به ، و واجب على من كل درى بحاله أن يبادر إلى إنقاذه بأن يطعمه أو يدله على من يطعمه ، فإن امتنعوا عن ذلك ، حتى مات اشتركوا جميعاً في الإثم ، ومن كان عنده فضل من طعام أو شراب أو دواء أو مال يشترى به ما يدفع الهلاك عن ذلك الإنسان وجب أن يدفعه إليه ، فإن امتنع كان لذلك المضطر أن يأخذه عنوه ويقاتله عليه ، فإن قتل كان على المانع القصاص ، وإن قتل المانع لم يكن على قاتله المضطر شئ ، وعلى هذا اتفق العلماء ، قال ابن حزم : من عطش فخاف الموت فرض عليه أن يأخذ الماء حيث وجده ، وأن يقاتل عليه ، ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة ، أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه ؛ لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ، ولا إلى لحم الخنزير ، وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل الجائع ، فعلى قاتله القود أي القصاص ، وإن قتل المانع ، فإلى لعنة الله ؛ لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية ، قال تعالى في سورة الحجرات ، آية/٩ : ﴿ فإنْ بَغَتْ إحداهما على الأخرى * فقاتلوا التي تبغي * حتى تفيئ إلى أمر الله ﴾ ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق ... (١) .

كما اعتبر الإسلام ؛ إن أهل كل بلد مسئولين مسئولية مباشرة عمن يتلفه الجوع مسئولية جنائية يؤدون فيها الدية بوصفهم قتلة لذلك الذي أتلفه الجوع ، وهو بينهم مقيم ... (٢) ، و روى ابن الجوزي ؛ المتوفي عام ٥٩٧هـ في كتابه عن سيرة عمر : إن رجلاً أتى أهل ماء فأستقساهم ، فلم يسقوه ؛ حتى مات عطشاً ، فالزمهم الخليفة الفاروق دية على أساس

(١) اشتراكية الإسلام ؛ مصطفى السباعي من ص/١٩١ إلى/١٩٣ .

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام ؛ سيد قطب : ص/٢٤٥ .

إنهم إذ منعوه عن حقه في ماء الله قتلوا نفسا ذكية دون حق ... (١) ، وقد ذهب الإمام ابن حزم إلى ذلك حيث اعتبر إن أهل المحلة التي يموت فيها فرد من الجوع كلهم قتله له تؤخذ منهم ديته بوصفهم هذا ؛ لأن الجماعة ملزمة بكفالة كل فرد فيها ، وتوفير الكفاية المعيشية له عن طريق الإلزام لا عن طريق الإحسان ... (٢) ، وروى يحيى ابن آدم في كتابه : "الخراج" : إن قوماً اشتكوا إلى عمر أعراباً في الصحراء لم يعطوهم دلّوا ولا رشاءاً ، ولم يدلوهم على الماء ، فقال لهم عمر : أفلا وضعتم فيهم السلاح ! ... (٣)، ويرى المالكية والظاهرية أن الفقراء ينبغي عليهم أن يطالبوا بحقهم في المال ، فإذا لم يعطوا ذلك الحق ، فلهم أن يثوروا استناداً إلى الحديث النبوي : "إذا بات مؤمن جائعاً فلا مال لأحد" ، و معنى ذلك ؛ إن الإسلام قد أباح للفرد أن يقاتل ، ويقتل من في يده طعامه أو شرابه إذا منعه عنه ، وهو في حاجة ماسة إليه ؛ لأنه كحق الدفاع عن الحياة ، وهو في سبيل ذلك فائز بإحدى الحسنتين إن انتصر كان مأجوراً بأدائه واجباً شرعياً هو الحفاظ على حياته ، وإن قتل فهو شهيد ... (٤) .

كما يسقط حد السرقة في المجاعات الشديدة ، وعن الجائع إذا سرق من بيت المال ، فقد روى الفقيه أبو بكر أحمد بن علي ، المعروف بالجصاص ، المتوفي عام ٣٧٠هـ إن عمراً كتب لعماله ، يقول في جائع سرق من بيت المال : ليس عليه قطع له فيه نصيب ، ومنطق عمر في هذه

(١) لا للفقر في ظل القرآن الكريم ؛ أحمد سعيد : ص/٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) السلام العالمي والإسلام ؛ سيط قطب : ص/١٤١ .

(٣) لا للفقر في ظل القرآن الكريم ؛ أحمد سعيد : ص/٢٧٥-٢٧٦ .

(٤) الغزو الفكري وهم أم حقيقة محمد عمارة : ص/١٢٩-١٣٠ ، السلام العالمي والإسلام ؛ سيد قطب : ص/١٤١ .

السابقة أن بيت المال يملكه فقراء المسلمين ، فكيف تقطع يد فقير جائع إذا امتدت يده إلى نصيبه في بيت المال الذي يملكه ، وأمثاله من الجوعى والمساكين ... (١) .

كما جعل الإسلام إطعام الطعام من أقرب القربات إلى الله عزّوجل فقد اعتبر عبد الله بن المبارك إطعام صبيين جائعين أفضل من التقرب إلى الله بحجه هو ، ومن معه ، فقد أعطاهما ما كان يدخره لنفقات الحج ، ثم قفل عائداً إلى بلدة ، وقال : هذا أفضل مما قصدنا إليه ، فقد رأى إن صيانة طفلين من الجوع والعرى والتشرد أفضل من التنفل بالطواف بالبيت ، والصلاة بالمسجد الحرام ، والوقوف بعرفات ...(٢) .

ليتضح لنا من بعد ذلك إن ترك مسلم واحد فريسة للجوع و العطش والعرى والمرض ليس من الإسلام في شئ ، وسنأثم جميعاً عن ذلك ، فما بالنا بالأعداد الغفيرة من المسلمين التي تعيش مثل هذه المحن ، و هذا من دواعي عظم مسئوليتنا الدنيوية ، كما جعل الإسلام مكانة كبرى في الآخرة جزاء للقائمين على إطعام المسكين ، فقد جعل إطعام الطعام من موجبات المغفرة ، واستحقاق نيل نعيم الجنة ، قال عليه الصلاة والسلام : "أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقي مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ، و أيما مؤمن كسا مؤمن على عرى كساه الله من حلل الجنة" ... (٣) ، و روى المقدام بن شريح عن أبية عن جده ، قال قلت : يا رسول الله ! دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال : "إن موجبات المغفرة بذل الطعام ، وإفشاء السلام ،

(١) لا للفقر في ظل القرآن الكريم ؛ أحمد سعيد : ص/٢٧٥ .

(٢) اشتراكية الإسلام ؛ مصطفى السباعي : ص/٣٩٢ .

(٣) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ؛ نبيل صبحي الطويل : ص/٦٢ .

وحسن الكلام" ... (١) ، كما سأل رجل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام : أي الإسلام خير ؟ قال : "تطعم الطعام ، وتقرئ السلام على من عرفت ، ومن لم تعرف" وللعسقلاني في شرح هذا الحديث لفته ؛ حيث يقول : لم يقل عليه الصلاة والسلام : "تؤكل الطعام" لأن لفظ الإطعام يشمل الأكل و الشرف ، و الذواق ، و الضيافة ، و الإعطاء ، و غير ذلك ... (٢)، وقبل ذلك فقد جاءت آيات من القرآن الكريم تنذر بالويل ، وتهدد بالعذاب في الآخرة لكل من لا يطعم المسكين أو يقسو على الفقير والمحروم ففي سورة المدثر ، و هي من أوائل ما نزل يعرض لنا القرآن مشهد من مشاهد الآخرة مشهد أصحاب اليمين من المؤمنين في جناتهم يتساءلون عن المجرمين من الكفرة والمكذبين ، وقد أطبقت عليهم النار ؛ فيسألونهم عما أنزل بهم من العذاب ، فكان من أسبابه ، ومن موجباته حسب إقرارهم أضاعه حق المسكين ، وتركه لأنياب الجوع والعرى تنهشه ، وهم عنه معرضون في ذلك ، يقول تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا : لم نكُ من المصلّين * و لم نكُ نُطعم المسكين ﴾ [سورة المدثر/٣٨-٤٤] ... (٣) .

* * *

(١) إحياء علوم الدين ؛ أبي حامد محمد الغزالي : ج/٣ ، ص/٢٢٩ .

(٢) دراسة إسلامية في العمل والعمال ؛ لبيب السعيد : ص/٧٧ .

(٣) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ؛ يوسف القرضاوي : ص/١١٢-١١٣ .

دراسات و أبحاث :

هل توقف الشعر في صدر الإسلام أم تطور ؟

[٢/الأخيرة]

بقلم : الدكتور محمد أنوار الحق الخطيبي
(أستاذ بقسم اللغة العربية ، جامعة شيتاغونغ - بنغلاديش)

وأما ما قال ابن سلام فإنما يقول ذلك ليدل على أن كثيراً من الأشعار العربية قد ضاعت من يد الزمان ، وكان يكفيه ما قاله من أنهم لم يدونوه ، وإنهم إكتفوا بروايته ، فإن من شأن الرواية إذا طال العهد بها أن لا تحتفظ بكثير من الشعر، وأن يسقط منه غير قليل ، أما قوله بأن العرب لهت عن الشعر ، وشغلت عنه بالجهاد ، فينقضه ما تحمله كتب الأدب والتاريخ من منظوماته الكثيرة ، ومن أسماء ناظميه (٢١) .

وأما قول ابن خلدون بأن العرب انصرفوا عن الشعر أول الإسلام ، فإن ابن خلدون كأنه يجعل توقفهم عن الشعر مدة نزول الوحي لعصر الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، و واضح أن هذا لا يصدق على المشركين ، لأنهم لم يشغلوا بالدعوة ، ومعروف أن جمهور القبائل العربية إنما دخل في الإسلام بعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة ، و إذن فانصرافهم عن الشعر - إن صحّ - إنما كان لمدة عامين أي إلى أن لحق النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى ، وهو نفسه ينقض ما قاله في أول كلامه بما قاله في أخره من أن الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم سمع الشعر وأجاز عليه ، ونحن نعرف أنه كان يقف بجانبه ثلاثة من شعراء المدينة ينافحون عنه ، ويردون على شعراء مكة وغيرهم من خصومه ذائدين منافحين ، وهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، و عبد الله بن رواحة ، وحتى في العامين الأخيرين

من حياته عامي الوفود ، كان وفد يقدم معه خطباؤه و شعراؤه ، وبمجرد أن يمثلوا بين يديه يتحدث خطباؤهم ، وينشد شعراؤهم ، ويرد عليهم خطباء الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وشعراؤه .

و أيضاً نقض الدكتور عثمان على قول ابن خلدون بقوله : وبديهي أن قول ابن خلدون هذا لا يتلاءم ، والكثرة الكاثرة من الشعر التي نجدها في دواوين الشعراء الذين واكبوا أول الإسلام ، و في كتب السير و الأخبار التي سجلت أحداث الإسلام الأولى ، وما قيل فيها من أشعار (٢٢) .

وربما جاءت شبهة إصغار العرب للشعر في صدر الإسلام وإعراضهم عنه من مهاجمة القرآن للشعراء ، و واضح أن القرآن إنما يهاجم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول الحبيب صلّى الله عليه وسلّم ، ويثبطون عن دعوته ، فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر ، وإنما هاجم شعراً بعينه كان يؤذى الله عزّوجل ورسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم .

أما زعمهم بأن العرب بهر ببلاغة القرآن فتوقف الشعر ، فهو زعم يمكن أن ننقضه بأن بلاغة القرآن الكريم وأساليبه قد بهرت العرب حقاً ، فليس معنى ذلك أنهم تركوا بذلك ، قول الشعر فوقف نشاطه ، بل إنهم حاولوا تقليد أساليبه ومحاكاتها في شعرهم إن لم يستطيعوا أن يتمثلوا تمثلاً تاماً ، و من الطبيعي أنهم مهما أوتوا من البلاغة يعجزون عن أن يجاروا القرآن في أسلوبه كاملاً ، ولا شك في أن القرآن الكريم أورث العرب وضوحاً في التفكير ، ودقة في التعبير والتصوير و روعة في الحجه ، و دقة في الأسلوب ، وشرفاً في الغرض ، ونبلاً في القصد (٢٣)، بحيث جعل شعراؤهم يحتذون حذوه ويتبعون نهجه ، والقارئ لشعر المخضرمين يستطيع أن يلمس هذه الحقيقة دون عناء ، مثلاً إذا نظر إلى قوله تعالى : ﴿ إنا وإياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين ﴾ ، ثم ينظر إلى قول حسان رضي الله عنه في الرد على أبي سفيان بن الحارث حين هجا النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم :

أتهجوه و لست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء (٢٤)

ليدرك إلى أي مدة تمثل حسان الأسلوب البياني الرائع الذي جاء في الآية الكريمة المذكورة ، و جدير بالذكر أن بعض النقاد يرون بأن لبيداً بهر ببلاغة القرآن الكريم ، فلم يقل شعراً سوى بيت واحد (٢٥) ، ولكن الحقيقة أنه نظم بعد إسلامه شعراً إسلامياً ، لأننا نجد جزءً غير قليل من شعره فيه روح الإسلام ، وهذا يجعلنا نعتقد أن لبيداً لم ينقطع عن الشعر بعد إسلامه ، وإنما قلّل منه على ما يبدو (٢٦) .

وأما زعمهم بأن العرب انصرف بالفتوح عن قول الشعر ، فهو قول يبعد عن الحقيقة كثيراً ، لأن الفتوح وما تلاها من الأحداث لم تشغلهم عنه ، بل جعلت الشعر يجرى على ألسنة الكثيرين من العرب الذين لم يعرف لهم من الشعر سوى ما قالوه في هذه الأحداث ، وهذا ما لاحظه الدكتور شوقي ضيف حيث يقول : "إن الشعر ظل متدفقاً على ألسنة الفاتحين في هذه الفتوحات ، وقد حركت هذه الفتوح كثيراً من الشعراء في قرض الشعر ، وكانوا ينشدون في كل معركة ، وفي كل موقف أناشيد حماسية ، ويتغنون فيها بانتصاراتهم ، ويتمدحون بمغامراتهم وبطولاتهم ، حتى يخيل إلى القارئ في كتب التاريخ التي سجلت هذه المعارك أن الذين شاركوا فيها كانوا جميعهم من الشعراء ، فكثرت فيها الأشعار ، وهكذا ساعدت هذه الأحداث في توسيع النطاق الشعري في هذا العصر (٢٧) .

وأما ما قالوه أن الإسلام قد حارب كل الأمور التي كانت وقوداً جزلاً لشعلة الشعر فاقتصر الشعر في هذا العصر على أغراض معينة : فهو قول ينقضه التتبع لأغراض الشعر في هذا الطور ، لأن الإسلام قد أسهم في إضافة المعاني الجديدة في الأغراض التقليدية الموروثة عن عصر ما قبل الإسلام ، وصبغت البيئة الجديدة تلك الأغراض بصبغة دينية ، فظهرت

في الشعر الدعوة إلى الإسلام ، ومناضلة خصومه ، ومدح محمد صلّى الله عليه وسلّم وأنصاره ، والتمدح بشجاعة المسلمين وأبطالهم ، و وصف المعاقل و الحصون ، وآلات القتال والحصار والتحمس للقتال ، والحث على الجهاد ، والفخر بالنصر الديني ، ورثاء من قتلوا في غزوات الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وفي الفتوحات الإسلامية ، وما إلى ذلك مما لم يكن للعرب عهد به (٢٨) ، ولم يقف الأمر عند حد استلهام المعاني الجديدة في أغراض الشعر التقليدية ، بل لقد أسهم في إنشاء أغراض جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل الوعظ ، والإرشاد ، والتزهيد في الدنيا ، والدعوة إلى تقوى الله (٢٩).

وأما حجة المستشرقين بأن الإسلام الثقافي لم يجد طريقه إلى قلوب المسلمين إلا في العصر العباسي فلا تستند إلى أساس ، فإن بالرجوع إلى الأشعار العربية يتبين أن المعاني الإسلامية قد وجدت طريقها إلى الشعر العربي منذ الهجرة على الأقل (٣٠) .

أما زعمهم أن الشعر لم يتأثر بالإسلام ، فهذا قول يدحضه التفتيش عن الشعر ، والتصفح بمراجعه ومصادره ، ومن أراد الوقوف على تأثر الشعر بالإسلام ؛ فليرجع إلى سيرة ابن هشام التي قد أرخ فيها بضعاً و عشرين سنة من حياة الإسلام الأولى ، وفيها من الشعر ما يفند ذلك الرأي ، وقد سجل عديد من الباحثين المعاصرين في مؤلفاتهم كثيراً من الأشعار المتأثرة بالإسلام ، ومنهم خاصة الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، والدكتور عبد الله الحامد في "الدعوة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين" ، والدكتور عثمان علي في "في أدب الإسلام" ، وقال بعض الباحثين أن الشعر لم يتأثر بمعاني الإسلام فحسب ، بل تطور بتأثيره ، كما قالت الدكتورة وفاء علي سليم : "لا ريب ان الشعر قد ازدهر بتأثير الإسلام خاصة في معركة الإسلام مع الوثنيين والمرتدين ، بل إن من يقرأ شعر المخضرمين يجد أنه يصدر عن قيم الإسلام الروحية التي

انبروا للدفاع عنها (٣١) .

والذين زعموا أن الشعر قلّ في صدر الإسلام ، فإنهم قارنوه بالجاهلية مع أن صدر الإسلام لا يزيد عن نصف قرن ، فكيف تقارن مدته بالعصر الجاهلي الذي لا يقل عن قرنين : لأنه لا تناسب بين العصرين ، ومن يحكم مقياساً يوازن به ما سبق صدر الإسلام ، والشعر الذي قيل فيه يجده كثيراً وافراً .

أما قولهم أن الشعر توقف في صدر الإسلام بسبب كراهية النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم إيّاه ، فهو قول يبعد عن الحقيقة كثيراً ، لأن عديداً من الباحثين المعاصرين قد تناقشوا هذه القضية بالاستفاضة ، وأثبتوا باستفصاء جميع مواقف النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم وحوادثه أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يكره الشعر وإنشاده ، بل يحبه كما أكد هذا القول أبو حاتم الرازي ، حيث قال : "إن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ما كان يحب الشعر فحسب ، بل يستنشده وينصت له ، ويعفو ويصفح به عن المجرمين ، ويقبل التوبة ، والمعذرة منهم ، ويستمع إلى الشعراء ، ويثيبهم على الشعر الجيد ، ويجيز قائله (٣٢) ، وأيضاً إن الصحابة والمسلمين الأولين كانوا لا يكرهون رواية الشعر، بل يروون الشعر وأخباره ، حتى الشعر الذي هجى به الإسلام والمسلمون ، و فضلاً عن ذلك أن الصحابة والتابعين تناشدوا الغزل الذي يتحدث عن المرأة دون أن يقدح ذلك في دينهم (٣٣) .

والواقع أن من يقوم باستقراء كتب الأدب والتاريخ ، ويتتبع أحداث الإسلام المتوالية يلاحظ أن الشعر في صدر الإسلام لم يتوقف ، ولم يتخلف ، بل تطور وازدهر ، ولا شك في أن ما يظهر من لين وضعف في بعض الشعر لشعراء هذا العهد ليس أصيلاً في فنهم ، وإنما هو عارض ساقته ظروف طارئة أو منحول دسّ عليهم لغرض ديني أو فكاهي (٣٤)، ومن الظلم للإسلام أن يقال : إنه كف العرب عن الشعر فوقف نشاطه ، فقد

ينشد على كل لسان ، وإن الأحداث قد ساعدت على ازدهاره لا على خموله وركوده سواء في معركة الإسلام مع الوثنيين والمرتدين أو في الفتوح ، أو في معركة علي رضي الله عنه مع خصومه في العراق ، و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إن الإسلام أذكى جذوته وأشعلها إشعالاً ، وجعل الشعر متدفقاً و متطوراً ، لأن أحداثه حلت من عقد الألسنة ، وانطقت بالشعر كثيرين ممن لم يكونوا ينطقونه ، فإذا بنا نجد مكة التي لم تعرف في الجاهلية بشعر كثير يكثر شعراؤها ، و إذا بنا إزاء عشرات من الشعراء في الفتوح لم يشتهروا بالشعر ونظمه قبلها (٣٥) ، و فضلاً عن كل ذلك فإن التطور الهام الذي حدث هو أن الإسلام أراد لشاعر القبيلة أن يصير شاعر الأمة ، فلم يهدر بذلك ذاتية الشاعر ، بل أراد لها أن ترحب ، فلا تعود محدودة بنطاق الأسرة والقبيلة (٣٦) .

ولعل في كل ما عرضنا ما يدل على عدم صحة الفكرة التي شاعت بين الباحثين قدماء ومعاصرين ، عرباً و مستشرقين ، من أن الشعر توقف في صدر الإسلام ، والحق يقال : إن الشعر في هذا العصر على الإطلاق ما لانَ بل قوي وتطور لأنه قد أكسبته بلاغة التنزيل ، وفصاحة الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وحكمة الشريعة قوة وعذوبة ، كما لاحظه ابن خلدون ، حيث قال : إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة ، وأذواقها من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم ، فإنا نجد شعر حسان ابن ثابت ، و عمر بن أبي ربيعة ، والحطيئة ، أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة ، وابن كلثوم وزهير ، والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن الكريم ، و الحديث النبوي اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما فنهضت طباعهم ، وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ، ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها ، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم

أحسن ديباجة ، وأصفى رونقاً من أولئك ، و أرصف مبنى و أعدل تثقيفاً بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة (٣٧) .

وهكذا نخلص من خلال النقاش المذكور أعلاه إلى أن الشعر في صدر الإسلام لم يتوقف بل تطور وازدهر ، وذلك بأن الأحداث المتصلة بالإسلام بجانب ما حققته من مساعدة للإسلام وتدعيم لدعائه ، فإنها قد لعبت دوراً بارزاً في توسيع دائرة الشعر لهذا العصر ، وإنها قد حركت عدداً ضخماً من الشعراء المسلمين المشركين إلى قول الشعر ، وعلى هذا كثرت فيه الأشعار فتطور فن الشعر تطوراً كبيراً .

* * *

(٢١) د/شوقي ضيف : المرجع السابق : ص/٤٤ .

(٢٢) محمد عثمان علي : في أدب الإسلام (بيروت ، دار الأوزاعي ١٩٨٦م) ، ط/٢، ص/٩٦ .

(٢٣) د/عبد المنعم خفاجي وصاحبه : الحياة الأدبية في عصري الجاهلية والإسلام (القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية د.ت) : ص/٢٣٦ .

(٢٤) عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان حسان بن ثابت (كراتشي ، مكتبة مير محمد ١٣٦٨هـ) : ص/٣٦ .

(٢٥) وهو قوله : الحمد لله أن لم يأتني * حتى اكتسبت من الإسلام سربالا

فنة من المختصين ، الأدب نصوصه وتاريخه (المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف ١٩٨٥م) : ص/١٢٧ .

(٢٦) وهدفاً لمزيد إيضاح الحقيقة نورد هنا عدة من أبياته المتأثرة بالإسلام ، و القرآن الكريم ،

فقوله : "إن تقوى ربنا خير نفل ..." مستقى من قوله تعالى : ﴿ تزودوا * فإن خير الزّاد التقوى ﴾ .

وقوله : "وباذن الله ريثي والعجل" مستمد من قوله تعالى : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ﴾ .

وقوله : "أحمد الله فلا ندّ له" عبارة إسلامية صرفة وردت معانيها في سورة الحمد والإخلاص .

وقوله : "من هداه سبل الخير اهتدى ..." مقتبس من قوله تعالى : ﴿ ومن يهد الله * فهو المهتدى * و من يضلل * فلن تجد له ولياً مُرشداً ﴾ ،

المرجع السابق : ص/١٢٧ .

(٢٧) د/شوقي ضيف : المرجع السابق : ص/٦٢-٦٧ .

(٢٨) حنا الفاخوري : المرجع السابق : ص/٢٢٠ .

(٢٩) د/وفاء علي سليم : من روائع الأدب العربي (الكويت ، وكالة المطبوعات ١٩٨٢م) : ص/٢٤ .

(٣٠) د/عمر فروخ : المرجع السابق : ص/٢٥٨ .

(٣١) د/وفاء علي سليم : المرجع السابق : ص/٢٠ .

(٣٢) د/عبد الحليم الندوي : المرجع السابق : ص/١٥٤ .

(٣٣) وكذلك لم يبق أحد من الصحابة إلا وقد قال الشعر وتمثل به : أبو زيد محمد ابن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، بشرح الأستاذ علي فاعور (بيروت ، دار الكتاب العلمية ١٩٨٦م) : ص/٥٤ .

(٣٤) محمد إبراهيم جمعة : المرجع السابق : ص/٤٦ .

(٣٥) د/شوقي ضيف : المرجع السابق : ص/٤٦ .

(٣٦) محمد إبراهيم جمعة : المرجع السابق : ص/٢٣ .

(٣٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (بيروت ، مكتبة المدرسة ، ودار الكتاب العربي ١٩٦٧م) : ج/١ ، ص/١١١٥ .

يحيى بن سعيد الأموي (ت/١٩٤هـ) وكتابه : "المغازي"

[٢] بقلم : الدكتور جمشيد أحمد الندوي
(قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة)

ج- ترجمة يحيى بن سعيد الأموي :

اسمه ونسبه : هو يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص بن أبي أحيحة سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو أيوب القرشي الأموي الكوفي ولقبه الجمل (١) .

(١) مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٩٨/٦ ، ٣٣٩/٧ ، وتاريخ الدوري : ٦٤٤/٢ ، وعلل أحمد برواية المروزي (الترجمة : ٢٢٤) ، وابن طهمان (الترجمة : ٢٨٨) ، والتاريخ الكبير : (٨/الترجمة : ٢٩٨٤) ، والتاريخ الصغير : ٢٧٥/٢ ، والمعارف لابن قتيبة : ٥١٤، وكتاب المعرفة والتاريخ للفسوي : ١٣٣/٣، والكنى للدولابي : ١٠٢/١ ، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٥١/٩-١٥٢ ، وكتاب الثقات لابن حبان : ٥٩٩/٧ ، وسؤالات البرقاني للدارقطني (الترجمة : ٣٣٧ و ٥٣٨ ، وثقات ابن شاهين (الترجمة : ١٥٩٢ و ١٦٠١ ، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه : ٣٤٠/٢ ، وتاريخ بغداد : ١٣٢/١٤ ، والتعديل والتجريح للباجي : ١٢٢٠/٣ ، والجمع لابن القيسراني : ٥٦٢/٢ ، والكامل لابن الأثير : ٣٧٠/٥ ، والكاشف : ٣٦٢/٢ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ([حوادث و وفيات : ١٩١-٢٠٠] ص/٤٦٢-٤٦٣)، وتذكرة الحفاظ : ٣٢٥/١، وسير أعلام النبلاء : ١٣٩/٩، والعبر: ٣١٥/١، وميزان الاعتدال : ٣٨٠/٤، وتهذيب التهذيب : >>>

اتفق على هذا النسب جميع مترجميه إلا ابن حزم الأندلسي ، فقال : هو يحيى بن سعيد بن يحيى ، صاحب السير و التواريخ (١) ، فلعله وهم و أخطأ .

>>> ٢١٣/١١-٢١٤ ، والتقريب (الترجمة : ٧٥٥٤) ، وشذرات الذهب : ٣٤١/١ ، وتهذيب الكمال : ٣١٨/٣١-٣٢٢ ، وخلاصة تذهيب التهذيب : ص/٤٣٣ ، وكتاب مشاهير علماء الأمصار : ص/١٧٥ ، والتاريخ لابن معين : ٦٤٤/٢ ، و رجال صحيح البخاري للكلاباذي : ٧٩٣/٢-٧٩٤ ، و أخبار القضاة لوكيع : ١٥٣/٣، ١٦٤، ١٧١، و تاريخ جرجان : ص/٣٧٧ ، و المعين في طبقات المحدثين : (٧٠/رقم : ٧٣٥) ، و مرأة الجنان : ٤٤٥/١ ، ومعجم شيوخ الإمام أحمد ابن حنبل في المسند ، ورواة محمد بن إسحاق للطرابيشي : ص/٢١٦-٢٢٦ ، ومعجم المؤلفين : ١٩٩/١٣ ، و معجم مصنفي الكتب العربية لكحالة : ص/٦٧٢-٦٧٣، والتاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية ، له : ص/١٣٥، وكشف الظنون : ١٤٤٧/٢ ، وتاريخ سيزكين : ، وموسوعة رجال الكتب التسعة للدكتور البنداري : ٢٠٨/٤ ، والبحوث والدراسات لعبد الله الأنصاري : ٤٠٦/٣ ، ومقدمة تحقيق كتاب الردة للكلاعي للأستاذ فارق : ١٠ ، ومقدمة السيرة النبوية الصحيحة للعمري : ١/ ، و مقدمة سيرة النبي الكريم للعلامة شبلي النعماني : ٣٢/١ .

المجلات والرسائل : رواة المغازي عن ابن إسحاق بقلم الأستاذ الطرابيشي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رمضان ١٤٠١هـ-١٩٨١م (٥٦٨-٥٧) ، و نظرة في مصادر السيرة النبوية للدكتور العمري ، مجلة الدراسات الإسلامية ، بغداد ، سنة ١٩٧٠م .

(١) راجع للتفصيل : جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، تحقيق : بروفنسال ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٤٨م : ص/٧٤ .

كما اتفق الناس على كنيته إلا صاحب كشف الظنون ، وصاحبا موسوعة رجال الكتب التسعة ، فقال الحاج خليفة : أبو محمد (١) ، والدكتور عبد الغفار البنداري ، وسعيد كردي حسن : أبو سعيد (٢) .

أعد الأستاذ الطرابيشي ، قول خليفة "أبو محمد" من أوهام ، فقال بعد نقل ترجمته عن الحاج خليفة : وقد وقع في أوهام نقلها عنه الأستاذ عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (٣) ، وهذا بيانها :

١- قوله أبو محمد : وهم ؛ والصواب أبو أيوب .

٢- قوله الحنفي : وهم ثان ، إذ ليس في ترجمة ابن الأموي أي ذكر للحنفي (٤) .

وقوله الحنفي مما جعله الأستاذ الطرابيشي من أوهام الحاج خليفة يمكن أن لا يكون وهما باعتبار أنه يسكن في الكوفة والمذهب الحنفي قد نشأ وتطور في العصر الأموي بالكوفة ، فيمكن أن يكون قد تأثر به أو لم يتأثر به ، ولكنه كان موجوداً في ذلك العصر على كل حال بالكوفة ، فنظراً إليه ، قال الحاج خليفة : "الحنفي" بأن كل رجل يسكن بالكوفة في ذلك

(١) كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ .

(٢) موسوعة رجال الكتب التسعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٩٣م : ٢٠٨/٤ .

(٣) معجم المؤلفين ، مطبع الترقي بدمشق ، سنة ١٩٦١م : ١٩٩/١٣ ، وهكذا ذكر في كتابه التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية ، المطبعة التعاونية بدمشق ، سنة ١٩٧٢م : ص/١٣٥ ، نقلاً عن كتابه معجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة بيروت : ص/٦٧٢-٦٧٣ .

(٤) رواة محمد بن إسحاق -للأستاذ مطاع الطرابيشي ، دار الفكر المعاصر بيروت ، سنة ١٩٩٤م : ص/٤٨٦ .

العصر سمي بالحنفي على العموم في القرون المتأخرة .

أما قول الأستاذ الطرابيشي : "إذ ليس في ترجمة ابن الأموي أي ذكر للحنفي" ؛ فليس هو دليلاً قطعياً لأن المترجمين ينقلون التراجم ؛ كما نقل أسلافهم قبلهم بدون تغيير أو إضافة على العموم ، و في العصر الأموي لم توجد النسبة إلى المذاهب في التراجم ، فلهذا لم يذكر أحد من مترجميه الأوائل في ترجمته الحنفي ، فلذلك لم يذكره المترجمون له فيمن بعده .

أما قول الدكتور النبداري ، وسعيد كردي حسن : "أبو سعيد" فذكراه مع كنيته الشهيرة أبي أيوب ، ولكن لم يذكرا أي دليل لذكر هذه الكنية فيمكن كناه بابنه سعيد .

أما لقبه فهو الجمل عند كل الناس (١) إلا الدوري عن ابن معين ، فقال : "جملايا" (٢) ، و الأستاذ قلعجي محقق تاريخ ابن شاهين ؛ فذكر لقبه الجميل (٣) .

ولادته : لا نعلم عن تاريخ ميلاده باليقين ، قال الذهبي : أنه ولد سنة بضع عشرة ومائة ، وعين الأستاذ كحالة تاريخ ولادته في سنة ١١١هـ في ضوء تاريخ وفاته سنة ١٩١هـ بأنه عاش ثمانين سنة (٤) ، والظن أنه ولد سنة اثنتي عشرة ومائة ، كما روى الفسوي عن ابنه سعيد ، قال سمعت

(١) لم يذكر أحد من مترجميه سبب لقبه الجمل .

(٢) كتاب التاريخ -لابن معين ، تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف ، مكة المكرمة ، سنة ١٩٧٩م : ٦٤٤/٢ ، وانظر أيضاً : تاريخ بغداد للخطيب ، دار الكتاب العربي (ب ت) : ١٣٣/١٤ .

(٣) تاريخ ابن شاهين ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية بيروت ، سنة ١٩٨٦م : ص/٣٥٣ ، هامش .

(٤) سير أعلام النبلاء : ١٣٩/٩ .

أبا بكر بن عياش – جاء إلى أبي يعزيه عن أخيه محمد بن سعيد ، وكان أكبر منه – فقال لأبي : متى ولد ؟ قال : مقتل الجراح (١) ، و عين السمعاني مقتل الجراح في كتابه الأنساب في سنة اثنتي عشرة ومائة (٢)، ولكن حينما نرجع إلى قول أنه عاش إلى ثمانين سنة ، و توفى سنة ١٩٤هـ ؛ فيظهر منه أنه ولد سنة ١١٤هـ ؛ فيمكن الجمع بين سنة مقتل الجراح ، وسنة ١١٤هـ بأنه قال تلك السنة لشهرتها قدراً ؛ لأن يسهل حفظ الشئ بضمن الوقعة الشهيرة .

كما لا نعلم عن مكان ميلاده باليقين والظن أنه ولد بالكوفة بأن والده انتقل إليها ؛ وسكن هناك .

مسكنه : اتفق المترجمون له أنه كوفي بغدادي ، ولكن ليس عندنا شهادة علمية أنه متى انتقل إلى الكوفة ، ومنها متى انتقل إلى بغداد .

يبدو من دراسة أسرته أن جده سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية انتقل أول مرة إلى الكوفة حينما ولاه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على الكوفة ، ورجع منها إلى المدينة حينما ولاه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه على المدينة سنة ، و مات بها ، ودفن بالبقيع (٣) ، ولكن بقي أولاده بالكوفة ، يقول ابن حزم : "ولد سعيد بن العاص بن سعيد بن

(١) معجم المؤلفين : ١٣/١٩٩ .

(٢) قال السمعاني في الأنساب : كان الجراح بن عبد الله من الغزاة قتلته الترك بآذربيجان غازياً في سنة اثنتي عشرة ومائة ، دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد ، سنة ١٩٦٢م : ١/٣٥١ ، وانظر لتفصيل هذه الوقعة : تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٢م : ٧/٧٠-٧١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، مطبعة السعادة مصر (ب ت) : ٩/٣٠٣-٣٠٤ .

(٣) نسب قريش للزبيري : ص/١٧٦ .

العاص بن أمية ، عمرو الأشدق ، عقبه بالكوفة وأبان عقبه بالكوفة ، ويحيى عقبه بالكوفة واسط" (١) ، فيتضح منه أن صاحبنا يحيى بن سعيد ، وأبوه سعيد ، وابنه سعيد سكنوا بالكوفة ، ثم انتقل صاحبنا إلى بغداد في آخر عمره ، ولكن لأي سبب انتقل إليها ، لم نعرف عنه شيئاً إلا قول ابن سعد : "أنه كان ينزل بغداد في عسكر المهدي على السيب عندر رحى عبد الملك" (٢) ولكن اتفق المترجمون له أنه نزل بغداد ، و سكن فيها ، وداره بها ، ومات بها .

طفولته ونشأته : من المأساة العلمية بأننا لا نعلم طفولة العلماء الجهابذة الأفاضل ونشأتهم ، منهم صاحبنا يحيى بن سعيد الأموي ، صاحب السيرة النبوية أيضاً ، لا نعلم عن طفولته و نشأته شيئاً لكن يبدو من دراسة حياته لعله قضى أكثر أيام طفولته في الكوفة ، يشهد بذلك قول ابن حبان : "أنه يروى عن الكوفيين" (٣) ؛ لأن الولد يتعلم في المكان الذي يقضى معظم طفولته وأوائل شبابه .

تعليمه وأساتذته : في العصر الأموي قد نشأت العلوم والفنون الإسلامية ، وقد بدأ تدوينها ، وكان جهابذة العلماء والأفاضل قد شغلوا بترويج العلوم ونشأتها ، وتصنيف الكتب في الحديث الشريف ، والسيرة النبوية الكريمة كالمغازي لعروة بن الزبير [م ٩٣هـ] ، و مغازي موسى بن عقبة [م ١٤١هـ] ، والسيرة لابن إسحاق [م١٥١هـ] ، كما أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز المحدث الكبير العالم الجليل ابن حزم [م١٣٥هـ]

(١) جمهرة أنساب العرب : ص/٧٤ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٧/٣٣٩ ، و انظر أيضاً تاريخ تدوين السير والمغازي للقاضي أطهر المباركفوري (بالأردية) ، ديوبند : ص/٢٣٩ .

(٣) الثقات : ٧/٥٩٩ .

بأن يجمع الأحاديث النبوية في الكتب ، كما ألف في ذلك العصر الإمام مالك ابن أنس [م١٧٩هـ] مدونته التي قيل : هي أول تأليف في الحديث الشريف .

في العصر الأموي كانت الكوفة من المراكز العلمية المهمة ، يشد الرحال إليها ، و تجتذب العلماء إليها ، ويأتون من كل ناحية ، وينهلون من المنهل العلمي الصافي ؛ فكان الأموي قد نال معظم تعليمه في الكوفة بأنه كان أكثر أساتذته من الكوفة ؛ حتى قال ابن حبان : "يروى عن الكوفيين" ، وكان بعضهم من المدينة ، وبغداد أيضاً .

يبدو من دراسة حياة الأموي أنه كان يأتي إلى مجالس المحدثين ، ويتعلم هناك في أوائل الشباب ؛ فيستمع أقوال الأئمة ثم يرويها ، قد ذكر الخطيب أنه اشترك أولاً في حلقة أبي بكر بن عياش ، ثم انتقل إلى حلقة الأعمش فتعلم منه ، روى الخطيب عن سنده ، قال يحيى بن سعيد الأموي : "كنت أقعد إلى حلقة أبي بكر بن عياش ، فقال لي رجل منهم : يا غلام ! قم ، فاسقني ماء ، فقمت ، فلما وليت ، قال له رجل : تدري من هذا ؟ هذا ابن سعيد بن العاص ، تقول له : قم ، فاسقني ماء ؟ ثم قال لي : ما تصنع بحلقة هؤلآء ؟ وهذه حلقة الأعمش ، قال : فذهبت إلى الأعمش" (١) .

يتضح من رواية الخطيب أنه كان يذهب إلى مجالس العلماء الأفاضل وحلقاتهم في أوائل الشباب ، و يُعلم بذلك أن الأطفال كانوا يؤمرون لأمر ما في المجالس على العموم ، كما يبدو أن أسرته أسرة ممتازة يعرفها الناس ، ويكرمونها ويعظمونها .

تتلمذ الأموي على العلماء الأفاضل من التابعين الكبار، والجهابذة ، والمحدثين العظام منهم الحافظ الإمام الكبير إسماعيل بن أبي خالد ، أبو عبد الله البجلي الأحمسي مولاهم الكوفي [م ١٤٦هـ] محدث الكوفة في زمانه مع

(١) تاريخ بغداد : ١٣٣/١٤ .

الأعمش ، بل هو أسند من الأعمش (١) ، وشيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله سفيان الثوري [م ٩٨-١٦١هـ] الكوفي المجتهد ، مصنف كتاب الجامع (٢) ، والإمام شيخ الإسلام وعلامة الإسلام ، وشيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد سليمان الأعمش الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الحافظ التابعي [م ٦١-١٤٧هـ] (٣)، وأبو عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب [م نحو ٧٠-١٤٧هـ] ، الإمام المجود الحافظ القرشي العدوي المدني من أشراف قريش ، فضلاً وعلماً وعبادةً وشرفاً وحفظاً وإتقاناً (٤) ، والعالم المحدث أبو عمر مجالد بن سعيد الكوفي الهمذاني

(١) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٢٤٠/٦ ، وثقات ابن حبان : ٦/٣ ، والتاريخ الكبير : ٣٥١/١ ، و التاريخ الصغير : ٨٥/٢ ، ومشاهير علماء الأمصار : ص/١١١ ، وتذكرة الحفاظ : ١٥٣/١-١٥٤ ، وتهذيب التهذيب : ٢٩١/١ ، وسير أعلام النبلاء : ١٧٦/٦-١٧٨ ، وشذرات الذهب : ٢١٦/١ .

(٢) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٧١/٦-٣٧٤ ، و التاريخ الكبير : ٩٢/٤-٩٣، وحلية الأولياء : ٣٥٦/٦ حتى ١٤٤/٧، وتاريخ بغداد : ١٥١/٥-١٧٤، وفيات الأعيان : ٣٨٦/٢-٣٩١ ، سير أعلام النبلاء : ٢٢٩/٧-٢٧٩ ، وتهذيب التهذيب : ١١١/٤-١١٥ ، وشذرات الذهب : ٢٥٠/١-٢٥١ .

(٣) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٤٢/٦ ، و التاريخ الصغير : ٩١/٢ ، و الجرح والتعديل : ١٤٦/٤، و تاريخ بغداد : ٣/٩، و وفيات الأعيان : ٤٠٠/٢-٤٠٣، وتهذيب التهذيب : ٢٢٢/٤-٢٢٦ ، وسير أعلام النبلاء : ٢٢٦/٦-٣٤٨ .

(٤) من مصادر ترجمته : الجرح والتعديل : ٣٢٦/٥ ، وثقات ابن حبان : ١٤٦/٣ ، والتاريخ الصغير : ٣٢٢/١ ، وتهذيب التهذيب : ٣٨/٧ ، وسير أعلام النبلاء : ٣٠٤/٦-٣٤٠ ، وشذرات الذهب : ٢١٩/١ .

[م ١٤٤هـ] من علماء السيرة وصغار التابعين (١)، والعلامة في المغازي الحافظ الأخباري صاحب السيرة النبوية محمد بن إسحاق [م ٨٠-١٥١هـ] (٢) ، والإمام المحدث الصدوق أبو الحسن محمد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني محدث العراق [م ١٤٥هـ] (٣)، ومسعر بن كدام بن ظهير [م ١٥٥هـ] الكوفي الأحول الحافظ من أسنان شعبه (٤) ، وهشام بن عروة بن الزبير بن العوام [م ٦١-١٤٦هـ] الإمام الثقة ، شيخ الإسلام المدني (٥) ، الإمام العلامة المجود عالم المدينة في زمانه ، وشيخ عالم المدينة ، وتلميذ الفقهاء السبعة أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني القاضي

(١) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٢٦٦/٦ ، والتاريخ الكبير : ٨/٨ ، وتهذيب التهذيب : ٣٩/١١-٤١ ، وسير أعلام النبلاء : ٢٨٤/٦-٢٨٧ .

(٢) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٢١/٧-٣٢٢ ، والتاريخ الكبير : ٤٠/١، و وفيات الأعيان : ٢٧٦/٤-٢٧٧ ، و تهذيب التهذيب : ٣٨/٩-٤٦، وسير أعلام النبلاء : ٣٣/٧-٥٥ ، وميزان الاعتدال : ٤٦٨/٣-٤٧٥ .

(٣) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ١٩١/١-١٩٢ ، والجرح والتعديل : ٣٠/٨ ، وميزان الاعتدال : ٦٧٣/٣-٦٧٤ ، والوافي بالوفيات : ٢٨٩/٤ ، وتهذيب التهذيب : ٣٧٥/٩-٣٧٧ ، وسير أعلام النبلاء : ١٣٦/٦-١٣٧ .

(٤) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٦٤/٦-٣٦٥ ، والتاريخ الكبير : ١٣/٨، وحلية الأولياء : ٢٠٩/٧-٢٧٠ ، وتهذيب التهذيب : ١١٣/١٠-١١٥، وسير أعلام النبلاء : ١٦٣/٧-١٧٢ .

(٥) من مصادر ترجمته : نسب قريش : ص/٢٤٨ ، والتاريخ الكبير : ١٩٣/٤ ، وتاريخ بغداد : ٤٧/١٤ ، و وفيات الأعيان : ٥٨٠/٦ ، وتذكرة الحفاظ : ١٤٤/١-١٤٥ ، وسير أعلام النبلاء : ٣٤/٦-٤٧ ، و تهذيب التهذيب : ٤٨/١١ .

[م ١٤٣هـ] (١) ، وأخوه سعد بن سعيد الأنصاري أحد الثقات (٢) ، والإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج معروف بابن جريج القرشي الأموي المكي الأنصاري المدني القاضي [م ١٤٣هـ] (٣) ، وأخوه سعد بن سعيد الأنصاري أحد الثقات (٤) ، والإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المعروف بابن جريج القرشي الأموي المكي المدني القاضي [م ١٤٣هـ] (٥) وأخوه سعد بن سعيد الأنصاري أحد الثقات (٦) ،

(١) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٢٧٥/٨-٢٧٦ ، والجرح والتعديل : ١٤٧/٩-١٤٩ ، وتهذيب الكمال : ص/١٤٩٩ ، وتهذيب التهذيب : ٢٢١/١١، وشذرات الذهب : ٢١٢/١ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٦٨/٥-٤٨١ .

(٢) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٥٦/٦ ، والجرح والتعديل : ٨٤/٤ ، وتهذيب الكمال : ص/٤٧٣ ، وميزان الاعتدال : ١٢٠/٢ ، وتهذيب التهذيب : ٤٧٠/٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٨٢/٥ .

(٣) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٢٧٥/٨-٢٧٦ ، والجرح والتعديل : ١٤٧/٩-١٤٩ ، وتهذيب الكمال : ص/١٤٩٩ ، وتهذيب التهذيب : ٢٢١/١١، وشذرات الذهب : ٢١٢/١ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٦٨/٥-٤٨١ .

(٤) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٥٦/٦ ، والجرح والتعديل : ٨٤/٤ ، وتهذيب الكمال : ص/٤٧٣ ، وميزان الاعتدال : ١٢٠/٢ ، وتهذيب التهذيب : ٤٧٠/٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٨٢/٥ .

(٥) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٢٧٥/٨-٢٧٦ ، والجرح والتعديل : ١٤٧/٩-١٤٩ ، وتهذيب الكمال : ص/١٤٩٩ ، وتهذيب التهذيب : ٢٢١/١١، وشذرات الذهب : ٢١٢/١ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٦٨/٥-٤٨١ .

(٦) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٥٦/٦ ، والجرح والتعديل : ٨٤/٤ ، وتهذيب الكمال : ص/٤٧٣ ، وميزان الاعتدال : ١٢٠/٢ ، وتهذيب التهذيب : ٤٧٠/٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٨٢/٥ .

والإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج معروف بابن جريج القرشي الأموي المكي (٨٠-١٥٠هـ) صاحب التصانيف (١) ، و الإمام الزاهد العابد أبو ذر عمر بن ذر الهمداني الكوفي [م ١٥٣هـ] (٢) .

تلاميذه : يبدو من قائمة تلاميذه أنه اشتغل نفسه بنشر العلم وتدريسه وقضى حياته في سبيل هذا الطريق ، ولكن لا نعلم عن مكان تدريسه باليقين ، ولكن يظن أنه درس في بغداد في الأغلب حينما انتقل إليها ؛ لأن أكثر تلاميذه بغداديون ، أيده قول الخطيب أنه حدث بها ، ومن تلاميذه المحدثون العظام ، و الفقهاء الكبار ، و مؤلفو السيرة النبوية المقدسة كالإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً من أعلام الدين وأركانه ، وعالم وقته في زمانه في علوم الحديث و الفقه والتأله أحمد بن حنبل [١٦٤-٢٤١هـ]، صاحب فقه ، وصاحب حفظ ، وصاحب معرفة ، أكثرهم حديثاً وأورع (٣)، والإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد

(١) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٤٢٢/٥ ، وتاريخ بغداد : ٤٠/١٠ ، و وفيات الأعيان : ١٦٣/٣-١٦٤ ، وتذكرة الحفاظ : ١٦٩/١-١٧١ ، وسير أعلام النبلاء : ٣١٥/٦-٣٣٦ ، وتهذيب التهذيب : ٤٠٢/٦-٤٠٦ .

(٢) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير ١٥٤/٦ ، وحلية الأولياء : ١٨/٥-١٢٢ ، والجرح والتعديل : ١٠٧/٦ ، وتهذيب التهذيب : ٤٤٤/٧-٤٤٥ ، وسير أعلام النبلاء : ٣٨٥/٦-٣٩٠ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣٥٤/٧-٣٥٥ ، والتاريخ الكبير : ٥/٢، وحلية الأولياء : ١٦١/٩-٢٣٣ ، والجرح والتعديل : ٢١٣/١، ٢٩٢، و ٦٨/٢-٧٠ ، و وفيات الأعيان : ٦٣/١ ، وسير أعلام النبلاء : ١٧٧/١١-٣٥٨ ، وتاريخ بغداد : ٤١٢/٤-٤٢٣ .

[١٦١-٢٣٨هـ] معروف بإسحاق بن راهويه (١) المروزي نزيل نيسافور ، والإمام القدوة المحدث أبو علي الحسن بن حماد بن كسيب سجادة الحضرمي البغدادي [م ٢٤١هـ] صاحب سنة (٢) ، و الإمام الحافظ الثقة أبو الفضل داؤد بن رشيد الخوارزمي ، ثم البغدادي [م ٢٣٩هـ] صاحب حديث (٣) ، والإمام القدوة الحافظ أبو الحارث سريج بن يونس المروزي ، ثم البغدادي [م ٢٣٥هـ] (٤) ، و الحافظ العلامة الحجة من أوعية العلم أبو الحسن علي ابن حجر السعدي المروزي [١٥٤-٢٤٤هـ] صاحب مصنفات مفيدة منها كتاب أحكام القرآن (٥) ، والإمام الحافظ الكبير الليث أبو عمر إسماعيل ابن إبراهيم بن معمر الهذلي ، ثم البغدادي القطيعي [نحو ١٥٦-٢٣٦هـ] صاحب سنة وفضل ، و الإمام (٦) الحافظ الجهبذ ، شيخ المحدثين أبو زكريا

(١) سمي براهويه بأنه ولد في طريق مكة (سير : ٣٩٦/١١) ، و من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٣٧٩/١ ، والجرح والتعديل : ٢٠٩/٢ ، وتاريخ بغداد : ٣٤٥/٦، و وفيات الأعيان : ١٩٩/١، وتهذيب التهذيب : ٢١٦/١-٢١٩، وأعلام النبلاء : ٣٤٥/١١ .

(٢) من مصادر ترجمته : التاريخ الصغير: ٣٧٥/٢، والجرح والتعديل : ٩/٣، وتاريخ بغداد : ٢٩٥/٧-٢٩٦، وتهذيب التهذيب : ٢٧٢/٢، وسير أعلام النبلاء : ٣٩٢/١١-٣٩٣.

(٣) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٤٩/٧ ، والتاريخ الكبير : ٢٤٤/٣ ، و الجرح والتعديل : ٤١٢/٣، وتاريخ بغداد : ٣٦٧/٨-٣٦٨، وتهذيب التهذيب : ١٨٤/٣، وشذرات الذهب : ٩١/٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٣٣٣/١١-١٣٣٥.

(٤) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٢٠٥/٤ ، وتاريخ بغداد : ٢١٩/١٩-٢٢١ ، وتهذيب التهذيب : ٤٥٧/٣-٤٥٩ ، وسير أعلام النبلاء : ١٤٦/١١-١٤٧ .

(٥) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ٢٧٢/٦ ، تاريخ بغداد : ٤١٦/١١-٤١٨ ، تهذيب التهذيب : ٢٩٣/٧-٢٩٤ ، وسير أعلام النبلاء : ٥٠٧/١١-٥١٣ .

(٦) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٥٩/٧ ، التاريخ الكبير: ٣٤٢/١ ، الجرح والتعديل : ١٥٧/٢ ، تاريخ بغداد : ٢٦٦/٦-٢٧٢ ، تهذيب التهذيب : ٢٧٣/١-٢٧٤ ، وسير أعلام النبلاء : ٦٩/١١-٧١ .

يحيى بن معين الغطفاني مولاهم البغدادي [١٥٨-٢٣٣هـ] أحد الأعلام والأئمة في الحديث (١) ، والإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد القاسم ابن سلام [١٥٧-٢٢٤هـ] من أئمة الاجتهاد ، مفنن في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والعربية والأخبار وحسن الرواية ، صاحب كتاب الأموال وفضائل القرآن الكريم (٢) ، والإمام الحافظ المقرئ المحدث الكبير أبو الربيع سليمان بن داؤد الأزدي العتكي البصري [نحو ١٤٠-٢٣٤هـ] أحد الثقات ، صاحب كتاب جامع في القراءات (٣) ، والإمام المحدث الصدوق أبو عبيد الله سعيد بن محمد بن سعيد الجرمي الكوفي [م ٢٣٠هـ] (٤) .

(يتبع)

(١) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٥٤/٧، التاريخ الكبير : ٣٠٧/٨، الجرح والتعديل : ٣١٤/١-٣١٨، و ١٩٧/٩، تاريخ بغداد : ١٧٧/١٤-١٨٧، و وفيات الأعيان : ١٣٩/٦-١٤٣، تهذيب التهذيب : ٢٨٠/١١-٢٨٨، وسير أعلام النبلاء : ٧١/١١-٩٥.

(٢) من مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد : ٣٥٥/٧ ، والتاريخ الكبير : ٣٩٧/٣-٣٩٨ ، وتاريخ بغداد : ٤٠٣/٢-٤١٦ ، ومعجم الأدباء : ٢٥٤/١٦-٢٦١ ، و وفيات الأعيان : ٦٠/٤-٦٣ ، وتهذيب التهذيب : ٣١٥/٨ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٩٠/١٠-٥٠٩ .

(٣) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ١٠/٤ ، والجرح والتعديل : ١١٣/٣ ، وتاريخ بغداد : ٣٨/٩-٤٠ ، وتهذيب التهذيب : ١٩٠/٤ ، الجمع بين رجال الصحيحين : ١٨٢/١ ، وسير أعلام النبلاء : ٦٧٦/١٠-٦٧٧ .

(٤) من مصادر ترجمته : التاريخ الكبير: ٥١٤/٣، والجرح والتعديل : ٥٩/٣ ، وتاريخ بغداد : ٨٧/٩، تهذيب التهذيب : ٧٦/٤-٧٧، وسير أعلام النبلاء : ٦٣٧/١٠-٦٣٨ .

دوران المادة حول معنى واحد

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، والخبير الدولي لليونيسكو ..)

لقد ميز الله العربية بميزات عديدة جعلها فريدة من نوعها بين اللغات ! من بين ذلك : دوران المادة فيها حول معنى واحد ، بمعنى - أنّ كل مادة في العربية تدور حول معنى واحد مهما تصرفت ، فإذا تتبعنا مادة معجمية و درسناها وأمعنا النظر في المعاني التي تدل عليها ألفاظها لوجدناها ترتبط بمعنى عام يشمل هذه المعاني ، ويُعد مركزاً لها تتفرع عنه وتدور حوله .

فمثلاً : مادة (ح د ق) نجد أنها تدور حول الإحاطة و الاستدارة ، ومنها : حدقة العين ، والحديقة ، و أحدق بهم الخطر ... ونحو ذلك ، وهذا الدوران توصل إليه علماء الاشتقاق - و على رأسهم العلامة ابن جنيّ - و يعدّ هذا من ميزات لغة العرب التي قد لا تتمتع بها اللغات الأخرى .. (١).

فمثلاً : كلمتا أخ وأخت ترجعان إلى مادة (أ خ و) في العربية ، على حين نجدهما مختلفين لا رابط بينهما في اللغات الأجنبية ، فهما في الفرنسية ، مثلاً : (FRER-SOEUR) ، وفي الإنجليزية : (SISTER-BROTHER) ، ونحو ذلك كثير ، وتلك ميزة للغتنا الشاعرة ، فإنه إذا اتفقت الحروف فيها أو تقاربت ، اتفق أو تقارب المعنى ، والعكس بالعكس ! (٢) .

(١) د/عبد الغفار حامد هلال : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها : ص/٦-٧ بتصرف ، ط/٣ ، مطبعة الحضارة العربية سنة ١٤٠٦هـ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص/١٧٨ وهامشها .

ولعل هذا هو ما يؤكده لنا المستشرق الفرنسي "كارادوفو" بقوله :

"إن العربية تنطوي على قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق ، ما دام أن إحداث تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي ، يسمح لتلك اللغة بأنْ تميّز بين الحالة النفسية ، وبين العادة البدنية التي تطابقها" .. (١) .

كذلك نجد في اللغات الأخرى كلمات متقاربة في اللفظ ، ولكن لا يوجد ما يدل على أنها من أصل معنويّ واحد ، مثل كلمتي : (CANINE-CHIEN) في الفرنسية ؛ إذ المعنى مختلف بينهما تماماً ؛ فالأولى بمعنى : (عادات) ، و الثانية بمعنى : (كلب) ، وأيضاً كلمتا : (CAPITAIN) (رئيس فريق كرة) و (CHEF) (رئيس حكومة) ، لها أصل معنوي واحد هو الرئاسة ، ولا يشتركان في مادة واحدة – فحروف كل منهما تختلف عن حروف الأخرى – مع أنهما يرجعان إلى كلمة (CATUT) اللاتينية : ومعناها : (الرأس) (٢) .

ونجد أن لفظ (الصديق) في العربية من الصدق ، ولفظ (العدوّ) من العدوان ، في حين أن كلمة : (AMI) (= الصديق) في الفرنسية مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبة و كلمة : (ENNEMI) (= عدوّ) لفظ مركب يفيد نفي المحبة أي بمعنى البغض ؛ فالمفهوم العربي للصداقة مبنيّ على الصدق وللعداوة على العدوان ، على حين أنه عند الفرنسيين مبنيّ على أساس الحب والبغض !

ولفظ (عقل) في العربية مأخوذ من العقل بمعنى الربط والتقييد ، ويدل ذلك على أن في معنى العقل عند العرب مفهوماً خلقياً بالإضافة إلى العنصر الفكريّ ، فهو يعقل عن المنكر والشرّ، ولا يدل لفظ : (RAISON) الفرنسي

(١) د/عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية : ص/٤٦-٤٧ ، ط/الدار القومية للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٥م .

(٢) د/عبد الغفار هلال : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها : ص/١٧٧-١٧٨ وهامشها ، وانظر : خصائص العربية ومنهجها الأصيل : د/محمد المبارك : ص/٢٩ تجد تفصيلاً .

على مثل هذا فإنه أصل ، معناه : العدّ والإحصاء .. (١) .

من هنا فإن اللغة العربية – كما يقول الأستاذ العقاد –: تعتبر في مقدمة اللغات جميعاً ، تعبيراً و دلالةً ، و تصويراً للمجتمع الذي لهج – ويلهج – بها ؛ ففي ألفاظها التي قطعت الأزمان التاريخية المتطاولة ما يدل على أصلهم وتاريخهم وعقليتهم ؛ فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة ، فالكتابة والشكل : بمعنى القيد ، والرسم : إثر خَطْوِ الإبل على الرمل في رسيمها أو سيرها على العموم ،والبلاغة : من الوصول إلى غاية المسير ، والفصاحة : من اللبن الفصيح الذي زال رغوه ، والدلالة للقافلة كالدلالة في الكلام .. (٢) .

نشأة فكرة الدوران وتطورها :

ونظراً لأن فكرة الدوران تدور حول التقليبات للمادة ؛ لذا فنحن نرى أن الخليل أحمد الفراهيدي ، هو الهادي لهذه الفكرة – و إنْ لم تكن قد قُرِّرَت بَعْدُ – وذلك من خلال معجمه "العين" ؛ حيث رتبه ترتيباً صوتياً متبعاً طريقة التقليبات .

وليس غريباً على الخليل – عالم اللغة المشهور – أن يكون هو الرائد في مثل تلك الهداية ؛ فلقد كان دائماً – كما يقول محقق كتابه العين – : "نبراساً وهدياً لعلماء اللغة ، والنحو ، والصرف ، والعروض ، والعلوم اللسانية بصفة عامة ، بأفكاره وتعليلاته وابتكاراته !" (٣) .

(١) د/محمد المبارك ، فقه اللغة : ص/١٣٨ ، ط/جامعة دمشق ، سنة ١٣٧٩هـ .

(٢) عباس محمود العقاد : اللغة الشاعرة : ص/٤٢ ، ط/مخيمر ، سنة ١٩٦٠م .

(٣) د/عبد الله درويش : مقدمة كتاب العين للخليل : ج/١ ، ص/٥ ، ط/بغداد ، سنة ١٣٨٦هـ .

ولقد سار على نهجه الأزهري في كتابه : "تهذيب اللغة" متبعاً طريقته من حيث التقليبات الصوتية ، ومثله أبو على القالي في بارعه ، إلى أن جاء ابن دريد فألف معجمه : "جمهرة اللغة" على طريقة التقليبات إلا أنه اتبع نظام الترتيب الهجائي العادي .

وكانت طريقة التقليبات - وبخاصة عند ابن دريد - وكذلك طريقة الاشتقاق ، التي سار عليها في كتبه ، لاكْتِناه أسرار العربية : فاتحة عهد جديد في إدراك خصائص العربية ، في دوران المادة حول معنى واحد ، أو أكثر ، وقد مهد ذلك الطريق الوعر لمن يستطيع السير فيه ، وممن سار على دربه في اجتياز هذا المسلك الشاق ، وركب هذا المركب الصعب ، وأكد سلامة السير فيه : عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جنّي ، الذي استطاع أن يُوسّع دائرة الاشتقاق ، ويبتكر - على أساسه - الاشتقاقين الكبير والأكبر ، وكذلك معاصره أحمد بن فارس ، فقد ألف معجمه : "مقاييس اللغة" ، منتهجاً هذا المنهج - وإن اتبع في ترتيبه وترتيب كتابه الآخر المسمى بالمجمل طريقة الأبجدية العادية - ، وكلا هذين العَلَمَين في اللغة قد اعترف بأنه اطلع على كتب التقليبات ، كالعين ، والجمهرة ، وإنْ لم يركن ابن جنّي إليها ؛ لما وجد فيها من الخَلْط والاضطراب .. (١) .

وعلى أية حال ، فإن عالم اللغة الفذّ ابن جنّي يعتبر المؤسس الحقيقي للاشتقاق بنوعيه الكبير و الأكبر ، و الذي أرسى على أساسه العربية ، وبين أصولها وفروعها ، وأصليها وزائدها ، ودلالتها ، خاصة كانت أو عامة ، وأصواتها ، و ما يحدث لها من إبدال ، وغير ذلك مما يدل على سموّ العربية ، ويبين مبادءها اللغوية (٢) .

(١) د/عبد الغفار هلال : علم اللغة بين القديم والحديث : ص/٣٦-٣٧ بتصرف ، ط/٢ ، الجبلاوى ، سنة ١٤٠٦هـ .
(٢) المرجع السابق : ص/٣٨-٣٩ .

الاشتقاق .. وفكرة الدوران :

من المقرر أن الألفاظ في اللغة العربية لها أصل ترجع إليه يمثل المادة الأصلية التي تدل على المعنى المصدريّ ، ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى كثيرة للدلالة على معان متعددة بزيادة بعض الحروف ، أو نقصها أو تغيير الحركات ، و مع ذلك ، فكل طائفة من الألفاظ تدور حول معنى عام يجمعها ، وكأنها مجموعات أسرية تتلاقى كل منها في إطار خاص .

فإذا تتبعنا مادة معجمية ، ودرسناها ، وأمعنا النظر في المعاني التي تدور عليها ألفاظها وجدناها ترتبط بمعنى عام يضم كل هذه المعاني ، ويعد أصلاً لها تتفرع عنه .

وتكشف عن هذا دراسة الاشتقاق بأنواعه الثلاثة :

الصغير ، والكبير ، والأكبر (١) .

أ- الاشتقاق الصغير :

و هو ما اتحد فيها المشتق ، و المشتق منه حروفاً و ترتيباً (٢) ، كأنْ تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت الصيغ ومبانيه (٣) .

فلو تتبعنا بعض المشتقات على هذا الطريق ، لوجدنا أن الألفاظ التي تتألف مادتها الأصلية من حروف واحدة تدور حول معنى واحد .

مثال ذلك : مادة : (س ل م) فإنها تدور حول معنى السلامة في تصرفها ، نحو : سلم ، ويسلم ، وسالم ، وسلمان ، وسلمى ، والسلامة ،

(١) د/عبد الغفار هلال : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها : ص/١٧٥-١٧٦ .
(٢) د/إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية : ص/٤٩ ، ط/١ ، السعادة ، سنة ١٩٦٥م .
(٣) العلامة ابن جنّي : الخصائص : ج/٢ ، ص/١٣٤ ، تحقيق محمد علي النجّار ، ط/٢ ، دار الهدى ببيروت .

والسليم : اللديغ ، أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة .. (١) .

ب- الاشتقاق الكبير :

و يسميه ابن جني بـ : الاشتقاق الأكبر ، ويوضحه بقوله : أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجمع التراكيب الستة ما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شئ من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه (٢) .

ولتوضيح هذا نسوق بعض الأمثلة :

أولاً : مادة : (ج ب ر) : فهي أين وُجدت وكيف وَقَعَت من تَقَدّم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه ، إنما هي للقوة والشدة ، وَجِهات تراكيبها الست مستعملة كلها لم يهمل شئ منها ، وهي : (ج ب ر) ، (ج ر ب) ، (ب ج ر) ، (ب ر ج) ، (ر ج ب) ، (ر ب ج) .

الأصل الأول : (ج ب ر) : منه : جبرت العظم والفقير إذا قويتهما وشددت منهما ، والجبر : الملك لقوته وتقويته لغيره .

الأصل الثاني : (ج ر ب) : تقول : رجل مجرّب : إذا جرسته الأمور ونجذته ، فقويت مُنّته ، واشتدت شكيمته ، ومنه : الجراب : لأنه يحفظ ما فيه ، وإذا حُفظ الشئ وروعي اشتد وقوي .

الأصل الثالث : (ب ج ر) : والأبجر والبجرة : القوي السرة .

الأصل الرابع : (ب ر ج) : ومنه : البرج : لقوته في نفسه وقوة من عليه به ، والبَرَج : لنقاء بياض العين وصفاء سوادها ، هو قوة أمرها ، وأنه ليس بلون مستضعف .

(١) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/١٣٤ ، وراجع : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها : د/عبد الغفار هلال : ص/١٧٦ تجد مزيداً من التفصيل .

(٢) العلامة ابن جنّي : الخصائص : ج/٢ ، ص/١٣٤ .

الأصل الخامس: (ر ج ب) : ومنه : رجبت الرجل : إذا عظمته و قوّيت أمره ، ومنه : رجب : لتعظيمهم إياه عن القتال فيه ، ومنه : الرُجْبة : فإنه إذا كرُمت النخلة على أهلها فمالت دَعَموها بالرُجْبة ، و هو شئ تسند إليه لتقوى به ، ومنه : الراجبة : أحد فصوص الأصابع ، و هي مقوية لها .

الأصل السادس : (ر ب ج) : ومنه : الرَّباجيّ : وهو الرجل الذي فخر بأكثر من فعلة .

قال الشاعر :

وَ تَـلْقَـاه رَبَاجِيّـاً فخـوراً

تأويله أنه يعظم نفسه ، ويقوّى أمره .

ثانياً : مادة : (ق س و) ، وتراكيبها : (ق س و) ، (ق و س) ، (و ق س) ، (و س ق) ، (س و ق) ، وأهمل (س ق و) ، وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع .

الأصل الأول : (ق س و) ، ومنه : القسوة : شدة القلب واجتماعه

الأصل الثاني : (ق و س) : ومنه القوس : لشدتها ، واجتماع طرفيها .

الأصل الثالث : (و ق س) : ومنه : الوقس : لابتداء الجرب ؛ وذلك لأنه يجمع الجلد ويقحله .

الأصل الرابع : (و س ق) ، ومنه : الوسق : للحمل ؛ وذلك لاجتماعه وشدته ، ومنه : استوسق الأمر : اجتمع ، ﴿ والليل وما وَسَقَ ﴾ أي جمع .

الأصل الخامس : (س و ق) ، ومنه : السوق : وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض ، وعليه قول العجاج :

مستوسقات لو يجدن سائقا

فهذا كقولك : مجتمعات لو يجدن جامعاً .

ثالثا : مادة : (س م ل) ، وتراكيبها : (س م ل) ، (س ل م) ، (م س ل) ، (م ل س) ، (ل م س) ، (ل س م) .

والمعنى الجامع لها المشتمل عليها ، هو : الإصحاب والملاينة .

الأصل الأول : (س م ل) ، ومنه : الثوب السمل : وهو الخَلَق ؛ وذلك لأنه ليس عليه من الوَبَر والزِّئْبِرِ ما على الجديد ، فاليد إذا أمرت عليه للمس لم يستوقفها عنه جدة المنسج ، ولا خُشْنة الملمس ، ومنه : السَمَل : الماء القليل ؛ كأنه شئ قد أُخلق وضعف عن قوة المضطرب ، وجَمّة المرتكض ، ولذلك قال الشاعر :

حوضا كأنّ ماءه إذا عَسَلْ
من آخر الليل رُوَيْزَيْ سَمَلْ

الأصل الثاني : (س ل م) ، ومنه : السلامة : وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترض عليها به .

الأصل الثالث : (م س ل) ، ومنه : المَسْل والمَسَل والمَسِيل : كله واحد ؛ وذلك أن الماء لا يجري إلا في مذهب له وإمام منقاد به ، ولو صادف حاجزاً لأعاقه فلم يجد مُتسرباً معه .

الأصل الرابع : (م ل س) ، ومنه : الأملس والملساء : وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه والمتصفح له .

الأصل الخامس : (ل م س) ، ومنه : اللمس : وذلك أنه إن عارض اليد شئ حائل بينها وبين الملموس لم يصح هناك لمس ؛ فإنما هو إهواء باليد نحوه ، و وصول منها إليه لا حاجز ولا مانع ، ولابد مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس ، ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه ، ومنه : الملامسة : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ : أي جامعتم ، وذلك أنه لا بد هناك من حركات واعتمال ، وهذا واضح .

الأصل السادس : (ل س م) : وهو مهمل ، وعلى أنهم قد قالوا : نسمت الريح : إذا مرت مراً سهلاً ضعيفاً ، والنون أخت اللام ، وقالوا : ألسمت الرجل حجته : إذا ألقنته وألزمته إياها .

قال الشاعر :

لا تلسمن أبا عمران حجته
و لا تكونن له عوناً على عمرو

فهذا من ذلك ، أي سهلتها وأوضحتها (١) .

ج- الاشتقاق الأكبر :

وهو ما اتحد فيه المشتق ، والمشتق منه في بعض الحروف واختلفا في الباقي ، وكان المختلف فيه متحداً مخرجاً أو صفةً .. (٢) .

وقد أفاض ابن جني في شرحه للاشتقاق الأكبر ، ورتب عليه نتائج مهمة من دوران المادة ، حول معنى واحد بتنوع الحروف المتبادلة ، ومناسبتها لمعانيها الموضوعة لها .

مثال ذلك : سَدَّ وصُدَّ - بفتح السين وضم الصاد - فالسين والصاد من مخرج واحد ، هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلي ، ومتفقان في معظم الصفات ، واللفظان يدلان على معنى واحد هو الحاجز ، ولكنه يختلف قوةً وضعفاً مما جعل الحرفين يختلفان ، فالسدّ للباب يسد والصدّ جانب الجبل ، وهذا أقوى من السد الذي قد يكون لثقب الكوز ، ورأس القارورة ، ونحو ذلك فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى ، والسين لضعفها للأضعف (٣) .

(١) المصدر السابق : ج/٢، ص/١٣٥-١٣٨ بتصرف ، ولمزيد من التفصيل راجع : فقه اللغة : د/إبراهيم محمد أبو سكين : ص/٣٣-٤١، ط/الأمانة ، سنة ١٤٠٤هـ .

(٢) د/إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية : ص/٤٩ .

(٣) د/عبد الغفار هلال : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها : ص/١٧٣ بتصرف يسير .

من هنا : ندرك أن اللغة العربية تمتاز بدوران موادها ، وتقلباتها حول معنى واحد عن طرائق الاشتقاق بأنواعها الثلاثة .

وهذا السلوك لم يكن واضحاً لدى أرباب المعاجم اللغوية ممن سبقوا ابن جنّي وابن فارس ، وإنما كانوا يذكرون الكلمات ، وتقليباتها ومعانيها ، دون محاولة للربط بينها ، وقد حاول علماء اللغة – ومنهم ابن جنّي وابن فارس – تطبيق هذا المبدأ وإيضاحه بالتفصيل في مواد كثيرة (١) .

ونظرية الدوران حول معنى واحد التي عرفها القدماء أوحت على المحدثين بسلوك هذا السبيل ، و تحقيق النتائج الموفقة من طرائقه فقد أدركوا أنه ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة ، والذهن يميل دائماً في جمع الكلمات إلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها ، والكلمات تتشبّث دائماً بعائلة لغوية بواسطة دوال المعنى أو دوال النسبة التي تميزها ، أو بواسطة الأصوات اللغوية التي تتركب منها ، لا أكثر من ذلك ، فنحن نشعر بأن الكلمات : إعطاء ، عطية ، عطاء ، معط ... إلخ ، عائلة قائمة بذاتها تتميز بذاتها ، تتميز بعنصر مشترك هو الأصل (ع ط ي) مهما تنوعت معاني المشتقات .. (٢) .

فائدة نظرية الدوران :

١– تصحيح المعاجم بتحقيق الوحدة بين مختلف المواد (٣) .

٢– معرفة الأصيل من الدخيل : فكلمة : (مقاليد) بمعنى : مفاتيح ، قد ظن أنها من مادة : (قلد) ، وهو خطأ أمكن كشفه عن طريق الاشتقاق التاريخي فتبين أنها جمع (إقليد) ، وأصلها يوناني ، وهو : (KLEIDA) (٤) .

٣– تفيد في إدراك الأحوال الاجتماعية للأمة التي تنطق باللغة :

(١) نفس المرجع : ص/١٧٧ .

(٢) نفس المرجع السابق : ص/١٧٧ ، نقلاً عن اللغة : فندريس : ص/٢٣٢ .

(٣) المرجع السابق : ص/١٧٠ . (٤) د/محمد المبارك : فقه اللغة : ص/٦٠ .

كالصفقة .. (١) ، والعقد (٢) ، واليمين ، فهذه تدل على عادات عربية قديمة ، بل يكشف عن عقليات الأمم ومفاهيمها ، كاشتقاق (الصديق) ، و (العدو) ، و (العقل) في العربية والفرنسية (٣) على نحو ما وضحناه آنفاً .

٤– توضح معاني الكلمات – أحياناً – : فقال من (القول) ، وبناء من (ب ن ي) (٤) .

٥– الوقوف على المستعمل والممات من الكلمات .

٦– تعين على الوصول إلى أصل حروف الكلمة : و يوضح ذلك ابن جنّي بقوله : "ألا ترى أن أبا عليّ – رحمه الله– كان يقوي كون لام (اتُّقِيَة) فيمن جعلها (أفعولة) واواً بقولهم : جاء يثفُه ، ويقول : هذا من الواو لا محالة كتعده ، فيرجح بذلك على الياء التي ساوقتها في يثفُوه وتثفيه ، أفلا تراه كيف استعان على لام ثَفَا بفاء وثَفَ ؛ و إنما ذلك لأنها مادة واحدة شُكّلت على صور مختلفة ، فكأنها لقطة واحدة " ! (٥) .

٧– وأوسع هذه الفوائد ، هو : فهم اللغة ، والتفقه فيها ، وفهم أسرارها والدخول في عالمها الخاص ، بهذا الربط المعنويّ (٦) .

وبعد : فمع أن لدوران المادة حول معنى واحد هذه القيمة اللغوية والاجتماعية ، ومع أن لغتنا العربية تمتاز بها ، إلا أنها ليست مطردة في كل مواد اللغة ؛ لأنه يصعب في بعض المواد ، ويخفى في بعض آخر ، ومع هذا فإنك إن أنعمت النظر ولاطفته ، وتركت الضجر وتحاميته لم تكد تعدم قرب بعض من بعض ، وإذا تأملت ذلك وجدته بإذن الله ، فهو كما يقول ابن جنّي موجود في أكثر الكلام ، وفرش اللغة ، وإنما بقي من يُثيره ، ويبحث عن مكنونة ..(٧) .

(١) تصوير لما كان يحدث بين المتبايعين من ضرب على اليد ، ولا يزال يحدث في البيع والشراء ونحوهما في الوقت الحاضر . (٢) كان المتعاقدان على أمر يعقدان طرفي ثوبيهما .

(٣) د/عبد الغفار هلال : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها : ص/١٧٩وهامشها .

(٤) المرجع السابق : ص/١٧٨ .

(٥) العلامة ابن جنّي : الخصائص : ١٣٩/٢ .

(٦) د/عبد الغفار هلال : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها : ص/١٧٨ .

(٧) العلامة ابن جنّي : الخصائص : ١٣/١ ، ١٣٨/٢ ، ١٥٢ ، وانظر : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها: د/عبد الغفار هلال : ص/١٧٩ .

المستهدئ الضال

بقلم : الأستاذ محمد عفان الندوي
(قسم اللغة العربية بجامعة جواهر لال نهرو - دلهي)

لم تكن قصة المؤتمر ضد العنصرية الذي عقدته الأمم المتحدة بدربان إلا قصة المستهدئ الضال الذي يطلب الهداية في غير مكانها ، وقصة الظامئ الذي يجرى وراء السراب تاركاً نبع الماء ، وقصة المجاهد الذي يبذل نفسه ونفيسه في ميدان الجهاد الذي صنعه وهمه وخياله .

اجتمع الوفود من جميع أنحاء العالم ليناقشوا قضية التمييز العنصري حتى يتم التوصل إلى حلول لمكافحتها ومحوها ، واستمر المؤتمر لأكثر من أسبوع ، وكانت نهايته قرارات مليئة بالبلاغات وحسرة لاذعة على الفرصة الضائعة التي ذهبت ضحية المصالح الشخصية المتصارعة .

يضرب الإنسان كل مكان كالإبل العطاش الهيمان ويتعب نفسه ، ويرهق أعصابه في طلب الحلول لمشاكله ومعضلاته وأزماته لكي يعيش حياة الأمن والاستقرار والدعة والسعادة ، لكن جهده وإرهاق نفسه في طريق الوصول إلى الحلول لا يكون أكثر من عملية التخبط في الظلام ، وتلمس الجدران كالعميان ، وكلما زاد تخطبه زادت حيرته ، و شقيت حياته ، وبهذا التخبط العشوائي ، والحيرة الزائدة يلتفت يميناً وشمالاً ، باحثاً عن نور يهتدى به ، ويد تنقذه من حيرته وعذابه وقوة تحول حياته من شقاء إلى سعادة ... و في بحثه الطويل يجد النور المنير و اليد المنقذة والقوة المعولة لكنه لا يقبل عليها ، و لا يعتنقها ، بل يتعامى عنها ، و لا يقيم لها وزناً ، أليس هذا بظلم ؟ أليس التعامي خدعة كبيرة للنفس ؟ وما يمكن أن يكون نفع هذا التعامى ألا يقع يوماً في هوة سحيقة ؟

إن أمر هذا الإنسان المسكين غريب ، إنه يرى الحق والحقيقة أمامه فيعبس وجهه و يصعر خده ، و يتطاول عليه ، ويبخس حقه بل أدهى و أمر

من ذلك أنه يناصب له العداء ، ويحاول إطفاء نوره أو تشويه صورته .

قبل قرون ، نعم قبل قرون أعلن الإسلام وإعلانه تجاوب الشرق والغرب : ﴿ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى * وجعلناكم شعوباً * وقبائل لتعارفوا * إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، و لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، و لا لأسود على أبيض إلا بالتقوى : "و كلكم من آدم ، و آدم من تراب" فكان من تأثير هذه التعاليم السمحاء في العالم ، أنه شاهد مجتمعاً كان الإنسان فيه كأسنان المشط ، امحت الفروق وزالت الامتيازات ، وتقرر معيار التقوى للتمييز و التفريق والتفضيل ، منها : أبو بكر وعمر : العربيان ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، كلهم يجتمعون على مائدة واحدة ، ويأكلون ويشربون ويتحدثون ، و تاريخ العالم شهيد على ذلك المجتمع الإسلامي الفذ الفريد الذي لم يشعر فيه الإنسان بين الإنسان بالاختناق والحرج والضيق .

إن ذلك المعيار الإسلامي الإنساني للتمييز والتفضيل لا يزال يقوم على أسسه الثابتة ، وله نفس الحيوية التي كان يتمتع بها في الماضي ، ويملك نفس القدرة على جمع الإنسان على وشيجة إنسانية واحدة ، و محو الفروق وتغيير نفسيات البشر ، ولكن من سوء حظ هذا الإنسان المسكين الظالم الجهول أنه لا يدرك الواقع ، وينكر الحق ، ويعاني من المحن ، والشدائد والأزمات التي هي بنفسه صنعها .

ومن يجهل تاريخ السود في دول إفريقيا المتخلفة وأمريكا المتقدمة ، عاشوا قروناً في عبودية البيض ، نالوا من أنواع الظلم والطغيان والتعذيب و الاسترقاق تكاد تتفطر من هولها مرارة الإنسان ، كانوا يرسفون بالأغلال ويطرحون في الحقول ، ويرغمون على العمل ، كان البيض يرسفونهم بالأغلال لألاّتسول نفوسهم الفرار، بل البيض لم يعترفوا بكونهم إنساناً ، إنهم ظنوا : أن السود شبه بشر لا يتمتعون بالقوة العقلية و الفكرية التي يتمتع بها البيض ، و هكذا أثبتوا أن من الخير لهم أن يقروا بالعبودية ، و التميز كقسمة طبيعية من السماء ، والواقع المرّ أن السود ، حتى في هذا

القرن ، في القرن الحادي والعشرين ، قرن الديمقراطية والحرية و الاستقلال ، لا يزالون مهضومي الحق ، ويعيشون حياة الذل والمهانة والفقر والأمراض والأمية .

ومن يجهل تاريخ الطبقة الدنيا في الهند ، إنها كانت موضع لعنة "براهما" الإله ، إنها ولدت من رجله ، وحرمت من العناية الإلهية ؛ فلا يجوز لها أن ترفع رأسها وصوتها ، وتطالب بالحقوق و الضمانات التي تتمتع بها طبقات عالية أقوى ، ضربت عليها الذلة و المسكنة ، و كتب لها الشقاء الدائم ، يجب عليها خدمة الطبقة العليا ، وإذا خالفت أو عارضت يجوز التنكيل بها، والضرب المبرح حتى لا تعود إلى المخالفة والمعارضة مرة أخرى ، وكذلك لا يجوز لها أن تقرأ وتسمع شيئاً من الكتاب المقدس ، وإن قرأت أو سمعت يجوز انتزاع لسانها وصب الرصاص والدهن الساخن في أذنها ، و كذلك من الحرام أن يقع ظل فرد من الطبقة الدنيا على الفرد المنتمي إلى الطبقة العليا ، ولو وقع خطأً وجب الغسل عليه ، فلا يجوز أن نفكر أو نتصور أن فردين من الطبقتين كانا يتماشيان ، ويتجالسان ، بل كان من الواقع (وإلى الآن يلاحظ هذا التقليد جارياً في بعض المناطق الهندية) إذا شاء أفراد الطبقة الدنيا دخول قرية أو مدينة أعلنوا بمجيئهم عن طريق الهتاف والتصفيق حتى يتنحّى جانباً أولئك الذين حرّم عليهم ظلهم النحس ، وكان القيام بجميع هذه الواجبات واجباً على الطبقة الدنيا ، وكان الويل والثبور لمن أراد الثورة عليها أو الإعراض عنها ، كان يجوز في التأديب ، القتل والإحراق و الإبادة ... ولا عجب إذا قرأنا أن امرأة من الطبقة الدنيا تغتصب في كل ست ساعات ، و إن رجلاً منها يقتل في كل ثلاثة أيام ، إنه يحدث هذا اليوم ، كل يوم ، كل ساعة ، هذا هو التقرير الرسمي ... و أغرب الأمور أن هناك لا يزال يوجد في المجتمع أفراد ممن يحبذ هذا التمييز الطبقي ويحسبه نظاماً طبقياً صالحاً للبشر .

بعد أكثر من خمسين سنة للاستقلال ، وفي جو لدعوات الحرية ، و بين موجات من نور العلم ، و التطور والتقدم ، في القرن والحادي والعشرين نرى بأم عيوننا مشاهد التمييز الفظيعة الإجرامية ، ما أحوج الإنسان المتقدم المتطور

المتنور المعاصر أن يقتبس من نور الإسلام ويبدد ظلام الظلم .

هذا الإنسان الحائر البائس المنكوب يحسب أن مؤتمراً أو مؤتمرات تقضى على جميع أنواع التمييز ، إنه لم يحدث ولن يحدث وكيف يحدث ذلك ، وإننا قد رأينا النفاق والمراوغة بادية متبجمة منذ البداية ، رأيناها في أفكار ونشاطات الوفود المشاركة في المؤتمر ، فلم تكن النهاية باعثة على أمل ، إن نهايته كانت حسرة مؤلمة على فرصة ضائعة ، تحسر عليها المستضعفون في أرض الهند من الطبقة الدنيا الذين بذلوا قصارى جهودهم في إدراج قضية التمييز الطبقي في القرار النهائي للمؤتمر ، ولكن لأسفهم الشديد لم يحصل ذلك ، كما تحسر عليها السود الذين آملوا بأن البيض الذين استعبدوهم في ماض قريب ، وسلبوهم ونهبوهم قروناً ، وبنوا على أملاكهم المغصوبة ، وذرواتهم المنهوبة ، ودمائهم الممتصة صرح حياتهم المترفة الباذخة حتى سمنوا ، أملوا بأن البيض يتذكرون الفظائع الماضية التي ارتكبوها ، و يطلبون العفو منهم ، و كذلك تحسر عليها العرب الذين عقدوا آمالهم بغير معاقد الآمال ، وتشبثوا بأذيال الرمال ، بذلوا جهوداً جبارةً في إثبات الشعب اليهودي كشعب مؤمن بالعنصرية ، ولكن ساء عملهم الولايات المتحدة ؛ لأنه كان إساءة صريحة إلى ربيبتها دولة إسرائيل ، و شاهد المؤتمر مسرحية السحب ، والانسحاب من قبل الدولتين ، وكان الأمر مؤسفاً جداً ، وتأسف الأمين العام للأمم المتحدة كثيراً .

ولكن هل في إمكان مثل هذه المؤتمرات أن تقضى قضاءاً تاماً على التمييز الموجود في المجتمع البشري اليوم ؛ اعتقد لا ، لأن القلوب فاسدة ، غير مخلصة و الأهداف موهومة و طرق علاجها لا تستمد طاقتها من أسس طبيعية علمية قوية ، إن الطبيعة البشرية الملتوية المائلة إلى المصالح الشخصية دائماً تضع العراقيل في سبيل إزالة التمييز ، والتقوى هي المحك الحق الصادق للتفضيل ، والتمييز : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، والإسلام وحده يؤفر هذا المحك ، ويقدم هذا المعيار .

* * *

الأطفال المشردون
ودور الخادمات المربيات في ظهورهم

بقلم : الأستاذ أنيس الجشتي (فونا)
(ترجمة : يوسف عظيم الصديقي)

إن لهذه المقالة أهمية بارزة في المجتمعات العصرية ، وخاصة المجتمعات التي تأثرت تأثراً واضحاً بالمجتمعات الغربية ، وباتت فريسة لدعايات وخداع الغرب .

فالظاهرة التي يبحثها الكاتب هي ظاهرة فشت وعمت في بلدان العالم بأسره ، ولكن بشكل واضح في بعض البلدان الإسلامية والشرقية .

في هذه الأيام تبذل جهود جبارة من أجل جعل الأطفال الأبرياء مشردين بالتأكيد ، إنك تكون قد أصبت بدهشة بعد قراءة هذه الجملة ، وإذا لم تصبك دهشة ؛ فلابد أن ذهنك قد اتجه إلى الزلزال المدمر الذي قصف بلاد تركيا وداهم أهاليها ، وقُتل على أثره خمسون ألف شخص .

فأطفال هذه المنطقة - بالطبع - باتوا مشردين ، أو على حسب الدراسات والاتسطلاعات التي أجريت قبل حرب كرغل - الحرب التي اندلعت بين الهند وباكستان في شهر مايو ١٩٩٩م - قدر عدد اليتامى ٤٥/ألفاً ، وعدد الآرامل ١٥/ألفاً ، بالفعل هؤلآء أيضاً من المشردين ، يمكن أن تفكر في الأطفال المشردين على إثر حب "كوسوفا" ، أو حرب الخليج ، و التي تشير إلى إحصائيات بالغة الأسى ، أعرب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان ، أنه في خلال الفترة من ١٩٨٤-١٩٨٩م كان عدد الموتى - أطفال عمرهم أقل من خمس سنوات - في بلاد العراق يبلغ

٥٦/طفلاً من ألف طفل ، مع أن الإحصائيات الجديدة تشير إلى أن عددهم قد ارتفع إلى ١٣١/طفلاً خلال الفترة ١٩٩٤-١٩٩٩م .

مع العلم بأن الكثير منهم يلاقى الحتف بسبب قلة المواد الغذائية ، والأدوية ، والمستلزمات الصحية .

ولكن في هذه المقالة لا نريد الحديث بخصوص هؤلآء الأطفال المشردين على أثر الحروب ، والمحن الطبيعية - إنما حديثنا يدور حول الأطفال المشردين ، والذين يوجدون في بيوتكم وبيوت جيرانكم ، وفي الضاحية التي تسكنون فيها ، دهشتكم صحيحة في محلها ، فكلما ازداد مؤشر التقدم ارتفاعاً ازدادت نسبة الأطفال المشردين في مجتمعاتنا .

يلجأ إلى مدينة بومباى العديد من الأطفال سنوياً ، عندئذ نريد أن نبحث في الأسباب الكامنة وراء هروب الطفل من بيته ، ولماذا يصبح مشرداً ؟

١- خوفاً من الآباء والأمهات .
٢- خوفاً من الأستاذ والمدرسة .
٣- الأب يدمن المسكرات (كالخمر والقات) وبعد ذلك يضرب الطفل ضرباً مبرحاً .
٤- لا يحصل الطفل على الغذاء الكافي .
٥- العنف الذي تمارسه زوجة الوالد ، وكونها لا تقدم الغذاء .
٦- لا يعلم أين ذهب الوالدان وتركوه .
٧- ليصبح ممثلاً ذائع الصيت ، ويدهش كافة الناس .
٨- لمقابلة نجوم السينما .
٩- لا يقدم الآباء والأمهات الأشياء التي يحبها الطفل .
١٠- يذهب الوالدان إلى العمل ، ويضايقه الأقرباء ، وتشمل هذه المضايقة المظاهر المختلفة من الاعتداء الجنسي .

وينبغي إن لا ننسى أن هؤلآء الأطفال الذين يفرون من بيوتهم ليسوا من أطفال الطبقة السافلة أو الفقيرة أي أن بعضهم ينتمي إلى الطبقات الراقية ، ويكون بحوزتهم الكثير من المال ، والذي يتلاشى بمرور الوقت أو يُسرق .

الإعلانات التي نراها في الصحف والمجلات ، والتي تحمل هذه العبارات : يا ابني ! أين أنت ؟ ارجع إلى بيتك تكون في أغلبها للبحث من الأطفال الفارين من البيوت الراقية .

وتأتي إلى السؤال المهم ، وهو ما السبب وراء فرار هؤلآء الأطفال من بيوتهم ؟

في بداية المقالة ذكرت ؛ أنه كلما ارتفع مؤشر التقدم والازدهار ازداد عدد الأطفال المشردين ، والفارين من بيوتهم .

ولإثبات هذه الدعوى نود أن نقدم مثالاً لبلاد الهند .

فبلاد الهند نالت الاستقلال عام ١٩٤٧م ، ومنذ ذلك الوقت ، والدولة ماضية على سبيل التقدم والرقي .

ازداد هذا التقدم الشامل وضوحاً عام ١٩٥٧م ، وفي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين فتح التقدم الصنعي أبواب الازدهار الاقتصادي الشامل .

وكون التقدم التعليمي مرتبطاً بالتقدم الاقتصادي لذلك لم تبق طبقة النساء محرومة من فيض التعليم العصري .

بعد ما حصلت المرأة على التعليم العصري باتت جدران البيوت تبدو كأنها جدران السجون والمنفى ، من أجل الحصول على الوظائف وضعت قدمها خارج البيوت ، كان يبدو أن الوعي النسائي ، هو المقصد الأصلي من وراء هذه الإصلاحات الاجتماعية ، ولكن أصيب هذا التقدم بجرثومة ، وفيروس التقدم المعكوس ، والغير المرغوب فيه .

لماذا يرغب الأبوان في أن تحصل ابنتهم على التعليم العصري ؟

١- لكي يتم زواجها بأسرع ما يمكن .

٢- لكي تنال وظيفة وتصبح مستقلة - اقتصادياً ومالياً - .

٣- لكي لا تسمع المرّ والجاف من أهل زوجها .

ويرغب أهل العريس أن تكون العروس موظفة ، ولكي يتم سحب ركب التكسب ، و "التقدم" بواسطة عجلتين بدلاً من عجلة واحدة ، ولكن هل تعلمون ما حدث جراء ذلك ؟

١- أصبح الأطفال يربون في إحضان المربيات الخادمات بدلاً من أمهاتهم .

٢- عمت وفشت ظاهرة الطلاق ، لأن المرأة باتت مستقلة - اقتصادياً - ولا تريد من يصرف عليها .

٣- انكمشت الأسر الكبيرة في الشقق الضيقة ، وتلاشت المعاني والمفاهيم النبيلة المرتبطة بالأسرة الواحدة .

٤- تم إهمال الحقوق والواجبات الأسرية والعائلية .

٥- ظهر جيل من الشباب يمتاز بصفات مختلفة ، مثل التسكع في الشوارع والترف الزائد ، والانحراف الجنسي ، والجبن ، وإدمان شرب الخمور والمسكرات ، والبحث عن المال ، وارتكاب الجرائم .

والسبب وراء هذه الظواهر المؤسفة أنه لم يتول تربيتهم ، والعناية بهم ، آباؤهم و أمهاتهم ، إنما تربوا في أحضان المربيات الخادمات ، واللاتي يتميزن بأنهن جاهلات ، و مدمنات على أكل التمبل و القات ، ويعشن في البيوت الفقيرة ، و يضربهن الأزواج العطّل ضرباً مبرحاً بعد شرب الخمر .. إلخ .

٦- تعرضت الصناعات الأساسية للبلاد لخسارة فادحة ، وتقدمت صناعة أدوات التجميل .

أثبتت دراسة أجريت مؤخرا أن ٨٠٪ من دخل المرأة يتم تبذيرها في شراء الملابس ، وأدوات التجميل ، وأدوات الزينة المنزلية ، ومصاريف الزفاف .

إننا قائمون على النظرية القائلة بالبيت الواحد للكاسب الواحد ، ولكن لا تنتهي القضية هنا ، إنما يتم تحويل الجزء الكبير من دخل الدولة إلى البلاد الأجنبية ، و ذلك بسبب انفتاح الأسواق ، و قدوم المنتجات الأجنبية تحت لافتة الخصخصة عند ذلك تريد الزوجة – إظهاراً لزميلاتها ، و أهل زوجها – أن تشتري تلك المنتجات ، والتي تحمل الماركة الأجنبية .

إذا فكرنا بعقل هادئ لوجدنا أن طفل كل أم عاملة ، هو في الحقيقة يتيم ومشرد ، ويحتاج إلى لطف ، وحنان أبويه ، وإلى حرارة الحب ، وبالغ العناية والاهتمام .

بل إنه يحتاج إلى القدر الكافي من الغذاء .

لذلك نجد هذا الطفل يبحث الطمأنينة ، والراحة العقلية ، والقلبية في برامج التلفاز ، وأشرطة الفيديو ، والمجلات الماجنة ، والأصدقاء ذوى السمعة السيئة ، والفكهات الجنسية .

عند ما نترك الطفل في رعاية المربية الخادمة ، فلا ندري ما هي العاملة التي يلاقيها الطفل ؟

في هذه الأيام انتشرت بيوت الرعاية ؛ فعند الذهاب إلى العمل صباحاً عليك ترك الطفل في هذا البيت ، وعند الرجوع من العمل تأخذه معك إلى المنزل ، هذا الأسلوب يدل على أنه ليس طفلك ، و فلذة كبدك ، إنما هو حقيبة سفر أو متاع .

لا يسلم الأطفال الصغار البالغون من العمر ثلاثة أعوام من شر المعتدين جنسياً، شوهد في أغلب الأحوال أن البنت أو الفتاة يعتدى عليها من قبل أقاربها كالأب ، و الأخ ، والعم ، و الخال ، و أبناء العم ، والأفراد

– من خارج الأسرة – المرتبطين بالأسرة ارتباطا قويا .

نشرت جريدة (The Times of India) : في عددها الصادر يوم ٢٦/أغسطس (آب) ١٩٩٩م ، مقالة تستعرض نتائج دراسة :

أجريت في الأيام السابقة دراسة من قبل منظمة غير حكومية ، المسماة : (RAHI) ، وكان موضوع البحث دراسة آثار الاعتداء الجنسي ، والاختلاط السافر مع النساء ، والاعتداء الجنسي الذي يتعرض له الأطفال.

النساء اللاتي شاركن في هذا الاستطلاع كانت أعمارهم تتراوح بين ١٨–٢٥/عاماً ، وكن من مختلف كبرى مدن الهند .

وأغلبهن يشغلن الوظائف أو يدرسن في الجامعات أو يؤدين مهام ربات البيت .

بلغ عددهن ٦٠٠/امرأة .

٧٦٪ منهن كشفن أنهن تعرضن لتجارب مريرة وقاسية بسبب الاعتداء الجنسي .

و ٧١٪ من هذه الفئة ، قلن : إن مرتكبي هذه الفظائع كانوا من الأقرباء أو الذين تربطهم بهن أواصر قديمة بالأسرة .

في بعض الأحيان كشف القضية يقود إلى حلها :

أن بلادنا وكافة بلدان العالم ، تتجه إلى مستقبل مجهول ، وتتولى قيادتها أيد غير أمينة .

في هذه الأيام يشكو الساسة وأصحاب المناصب والإدارة : أننا لا ندري من الذين نوليهم هذه المناصب والمهام .

والجيل الجديد إذا كانوا من أبناء الطبقة الراقية نجد أحضان المربيات تحاول أداء دور الأم ، يوجد عدد كبير من الآباء والأمهات ، والذين يدمنون أقراص الفيتامين ، والحبوب المنومة ، وهم لا يدرون بالمؤهلات ، والإمكانيات التي رزقها الله تعالى لأطفالهم .

هؤلاء الأطفال يرجحون العيش في أمريكا على البقاء في الهند .

فهم يفضلون "بل كلنتون" على الزعيم غاندي ومونيكي ليوتسكي على إنديرا غاندي .

إذا اتجهت الأنظار إلى المستقبل الذي ينتظرنا ، وجدنا أنه يعاني من قلة رجال يمثلون الخلق والسلوك الإنساني .

إننا نخشى أن تنقطع أواصر المحبة والقرابة بلمح البصر .

فالشباب الذين يترددون على الكازينات والنوادي الليلية يمكنهم إدمان الخمور وسهر الليالي ، ولكن لا يمكنهم أداء حقوق القرابة والواجبات المترتبة عليهم .

فطوبى لأولئك الأطفال الذين وجدوا أمهات كن حاملات شهادات جامعية ، ومع ذلك لم يختزن الوظائف .

في هذا الصدد سؤال يردده السائلون كثيراً ، وهو ما الذي تفعله النساء اللاتي أكملن التعليم العصري ، ويشغلن الوظائف ؟

أينبغي عليهن ترك الوظائف ! عند ذلك نود أن نقول : إن لكل قضية حلا يختلف عن غيره ، وهي تحتاج إلى عناية مركزة .

بعد النظر في أحوال الأسرة ، وأوضاعها يجب استشارة فرد – من أفراد العائلة -- متقدم في السن ، وصاحب خبرة واسعة ، ورأى سديد ، ولكن يجب أن نتذكر نقطتين مهمتين :

١- إذا كانت النساء متعلمات ، ومؤظفات ، والأوضاع لا تسمح لها بترك الوظيفة عند ذلك عليها الالتحاق بتلك الوظائف التي تتولى تربية الجيل القادم .

القليلون الذين يعلمون أنه توجد وظائف متعددة يمكن المرأة أداءها ، وهي في بيتها ، المجهودات المكثفة المعلوماتية قد مهدت السبيل لتحقيق هذه الأهداف .

دهشنا عند ما شاهدنا بيتا توجد فيه النساء اللاتي يتولين الرعاية ، والاهتمام بتربية الطيور والقطط والكلاب وغيرها من الحيوانات .

فبذلك يتمّ تعليم القطط أساليب الصيد ، وتعليم الببغاء آداب الضيافة والاستقبال ، توجد أكثر من مئة دورة طبية ، والتي تمكن النساء من أداء الوظيفة ، وهن في بيوتهن ويمكنهن الحصول على هذه الشهادات بعد إكمال مرحلة المتوسطة من التعليم .

إننا لا نقول : إنه يجب تأديب الطيور والحيوانات ، إنما علينا إبعاد أبنائنا مما يسيئ إلى سمعة أسرتنا .

لا يوجد نظير ومماثل يؤدي دور حليب الأم في تربية الطفل ، ونموه العقلي والبدني .

أجري العديد من الأبحاث في العصر الحاضر لدراسة العلاقة بين الدماغ البشري ، والعمل التعليمي ، ودراسة العلاقة بين قوة الذاكرة ، والعمل الكيميائي .

تجرى أبحاث للكشف عن تلك المواد الكيميائية ، والتي تتحكم في قوة الذاكرة ، والإقبال التعليمي .

وأظهرت بعض الأبحاث أنه عند عدم حصول الطفل على القدر الكافي من الغذاء عقب أيام ولادته ، يترك آثاراً سيئةً على دماغ الوليد من كلتا الناحيتين : الكمية ، والجودة .

النمو الدماغي غير متغير ، فالخسارة اللاحقة بسبب عدم الحصول على الغذاء الكافي لا يمكن تعويضها بأي شكل .

ترك إرضاع الطفل قبل وقته يؤدي إلى خلل في النمو الدماغي .

الشهور – ما بين ٥-١٠/أشهر- التي تتعقب ولادة الطفل تكون بالغة الأهمية ، ففي هذه المرحلة تزداد الخلايا العصبية ، والغذاء القليل في هذه المرحلة يؤدي إلى نقص في الخلايا العصبية ، وفي العام الثاني من عمر

الطفل يتوقف نمو الخلايا توقفا تاما .

أظهرت الدراسات التي أجريت في بلدان وسط إفريقيا و وسط أمريكا - التي تعتبر من أفقر بلدان العالم - أنه إذا لم يحصل الوليد على القدر الكافي من الغذاء في المراحل المبكرة من عمره - حوالي أربعة أعوام - عند ذلك نجده يتراجع عن زملائه في المدرسة في العملية التعليمية .

الحامض (RNA) رائيونيوكلير ، هو في الأصل مادة مولدة ، والتي تتحكم في منح البروتين في الجسم .

كافة المواد الكيميائية ، والتي يمكنها تحريك الخلية على توليد (RNA) يمكنها أن تلعب دوراً مؤثراً في العمل التعليمي .

لذلك يجب على أفراد المجتمع أن يهتموا بالناحية الغذائية للأطفال اهتماماً زائداً ، خاصة قبل أن يبلغوا ٤/أعوام .

إننا لا نولي إن اهتمام للأفراد اللاحقة بالدماغ بسبب نقض المواد الغذائية .

أثبتت الدراسات المتواصلة لمجلس الأمم المتحدة : أن الحصول على المقدار القليل من بروتين كيلوري في المراحل المبكرة من عمر الطفل قد يؤدي إلى ضعف عقلي وبدني دائمين .

والآن أخبرونا أنه كيف يمكن للأم الموظفة أن تهتم بغذاء طفلها ، وهي مسئولة عن الوصول مبكراً إلى المكتب ونيل رضا المدير .

عند ذلك نجد أن هذه الأم ؛ هي قاتلة لمؤهلات ابنها ومسببة لها الضرر البالغ الأسى ؛ فبهذه الطريقة ؛ هي لا تخاطر بحياة طفلها فقط وإنما بمستقبل المجتمع والدولة بأسرها .

* * *

مستقبل الثروة الحيوانية أمام مخاطر حرب المياه في العالم

بقلم : الدكتور إبراهيم الراوي
(دكتوراه في الطب والجراحة -العراق - بغداد)

تعتمد المواشي والحيوانات المجترة عالمياً ، وبالدرجة الأولى على العلف الأخضر ، الذي يتطلب من المربين جهوداً جبارةً في تحضير ، و حراثة الأرض الصالحة للزراعة ، وتسميد التربة ، وتوفير مياه هائلة ، وعذبة و صالحة للسقي بطرق الإرواء التقليدية أو بواسطة الآلات الحديثة المتطورة ، و المعدة للرش والتقطير ، وكلها تستلزم أنهاراً تجري ومشاريع إروائية تتدفق ، وتحتاج أجسام حيوانات الماشية إلى العلف الأخضر كعنصر أساسي للتغذية ، و تطوير الصحة العامة ، نحو الأمثل : إذ ثبت علمياً ، أن الأعلاف الجافة لوحدها مع حبس الحيوان في أماكن مقفلة تؤدي إلى ضعف مناعة الجسم ضد الأمراض ، وتضر بالصحة العامة ،وإن القيمة الغذائية التي توفرها العليقة الخضراء ، وما تحتويه من مواد طازجة ، وأنسجة طرية ، وفيتامينات لا يمكن لدم وأعضاء الجسم الاستغناء عنها ، و تحتاج المواشي لعملية الرعي في الهواء الطلق ، والانتشار في المراعي الطبيعية لترويض الجسم والانتعاش بالأوكسجين ، وأشعة الشمس مما يؤدي إلى الحيوية ، والنشاط البدني والنفسي ، وارتياح الأحاسيس التي يمتلكها كل كائن حي ؛ فتقوى مناعة الجسم ضد الأمراض ، ويظهر النمو السريع ؛ فيزداد منتوج اللحوم ، ويدر الحليب ؛ فيتضاعف منتوج الألبان .

إن مشاريع الثروة الحيوانية الكبيرة العملاقة تشهد ازدهاراً فيما تزداد أزمة المياه العذبة في العالم تدهوراً ، إن شجة الأمطار أمـــام ازديـاد نفوس البشر في الكرة الأرضية يزيد من خطورة الموقف حيث تزداد المطالب الغذائية (الحيوانية والنباتية) في العالم ، علماً بأن الزراعة المروية تستهلك مـا بين تسعين بالمائة من المياه العـذبة ، وإن نقص هذه المياه في عديد من الدول يهدد الإنتاج الحيواني والنباتي ، والنمو الاقتصادي ، والســلام الإقليمـي بالمخاطر ، إن تجدد المياه العذبة في الأنهار ، والينابيع الجوفية يعتمد علـى هطول الأمطار فقط ، و على المستوى العالمي ، وبمعدل خمسين ألف كيلومتر مكعب في العالم الواحد لمجموع الكرة الأرضية ، مما يدل علـى محدوديـة إمدادات المياه السنوية لتجديد حركة الأنهار ، والمياه الجوفيـة في العـالم ، وأمام هذا فإن الاستهلاك البشري للمياه العذبة في ازدياد مستمر ، حيـث تتضاعف الكمية كل عشرين عاماً ، و بصورة تصاعدية أي بأكثر من ضعف معدل زيادة أعداد السكان في العالم ، والذي يزيد من خطورة الأزمة ، هـو النمو الآلي والصناعي ، والتقنيات الحديثة ، إذ أن الإنســان يسـتهلك في الواقـع أقل من عشرة في المائة من المياه العذبة في العالم ، بينما تستخدم نسبة ٦٥٪ من تلك المياه في حقول الزراعة الحديثة التي تروى بالآلات الصناعية ، حيث تستهلك المياه بمعدلات هائلة تفوق بنسبة كبـيرة اسـتخدام الميـاه بالطرق التقليدية للري في ميادين الزراعة على نطاق المجتمعـات الصغـيرة بهدف الاكتفاء الذاتي من الأغذية ، ويستغل الباقي ٢٥٪ من المياه العـذبة في العالم في الاستخدامات الصناعية ، مثل : التقنيات العاليـة ، وصناعـة الكمبيوتر ، حيث تتطلب صناعة رقائق السيليكون كميات ضخمة من المياه النقية ، وأمام هذه الحركة الصناعية الكبيرة ، والخطرة علـى اسـتهلاك ، وهدر المياه العذبة في العالم ، فقد أعلنت لجنة المياه الدولية في هيئـة الأمـم

المتحدة ، أن أكثر من ألف مليون نسمة في العالم يعانون اليوم من شحة المياه العذبة في بلادهم ، ويتوقـع العالم رغم كل هذه الأزمات الخطرة على مصير الإنسان و الحيوان ، أن تضاعف المؤسسات الصناعية الكبرى في العالم كمية استهلاك المياه العذبة خلال السنين القادمة ، وبحلول ذلك الوقت سـيعاني ثلثا سكان العالم من نقص حاد في المياه النقية ، وفيما تزداد أزمة المياه العذبة سوءاً تزدهر الصناعات الحديثة الكبرى على حساب تدمـير الزراعـة ، و الثروة الحيوانية في العالم ، إن القارة الآسيوية اليوم أشد تضرراً بأزمة شـحة المياه ، مما حدى ببعض الشركات الصناعية ، والمؤسسات الكبرى لصناعـة الكمبيوتر في هذه القارة ، أن تعتزم الآن سحب المياه العذبة من الأنهـار ، والبحيرات التابعة لقارات أخرى عبر المحيطات لإيصالها إلى هذه القـارة ، ظناً منهم أن هناك إمدادات كافية من المياه العذبة على سطح الأرض تسمح بذلك ، وفائضة عن حاجة القارات الأخرى ، الآن إن الدراسات الأخـيرة التي أجريت في هذا الميدان أثبتت أن هذا الافتراض خاطئ حيث لا توجـد مياه نقية على سطح كوكبنا تفيض عن حاجة سكانه ، إذ أن هـذه الميـاه تعادل أقل من نصف الواحد في المائة من مجموع كمية الميـاه الموجـودة في الكوكب ، وتشمل المياه المالحة في البحار والمحيطات ، والثلوج القطبيـة ، وأول من فكر بهذا الافتراض لسحب المياه العذبة عـبر القـارات ، هـم أصحاب المشاريع المقترحة استناداً إلى تقرير مجموعة من المنظمات العازمـة على شحن المياه العذبة من أمريكا الشمالية عبر المحيط الهـادئ إلى القـارة الآسيوية لبيعها لمصانع التقنيات الحديثة ، والشركات العملاقـة لصناعـة الكمبيوتر التي قد تهدد بخطر الإفلاس إذا تفاقمت أزمة العصر الرهيبـة ، وهي شحة المياه العذبة ، كما أن لا أحد من الأمريكـان يعـير اهتماماً للعواقب البيئية الخطرة ، والمحتملة إذا سمح بعمليات من هـذا القبيـل في

بلادهم ، و على صعيد بلادنا فإن أكبر الكوارث البيئية اليوم هي شحة مياه نهر الفرات بسبب قلة الأمطار ، ولكونه ينبع مـــن الأراضـــي التركيـــة ، وليست له روافد خارج تركيا ، ولتوسيع رقعة الزراعة في تركيا ، وحصـــر المياه ، وخزنها وتشييد السدود المتعددة ، وأنه يغذي تركيـــا ، وســـوريا ، والعراق ، وقد دخلت مؤخراً إلى المشاركة المتطفلة إسرائيل لإيصال المـــاء إليها عبر البحر، إما بمد أنانيب في قاع البحر أو بواسطة البالونات العائمـــة فوق سطح البحر ، والتي تسحبها البواخر المتخصصة ، والذي يزيـــد مـــن خطورة الأزمة هو تصريح منظمة التجارة العالمية في تعريف المياه العذبـــة ، إنها (سلعة تجارية) ، وتتضمن لوائح تشترط على الحكومات السماح بتصدير الميـــاه العذبة تحت شروط معينة ، فلربما تصبح المياه قريباً ذات قيمة أكبر من النفط ، وتدر على مصدريها عائدات بآلاف الملايين مـــن الـــدولارات إذ يتحول نهر الفرات إلى جبل من ذهب يجـــري علـــى ســـطح الأرض ، إن أوضاع المياه في مختلف أقاليم العالم تزداد ســـوءاً ، ويتخـــوف المراقبـــون الدوليون من اندلاع حروب إقليمية ، وربما عالمية محتملة بشـــأن المصـــادر الطبيعية للمياه بما سيطلق عليها (حرب المياه) كما أشارت الكتب المقدسة : (سوف تتقاتلون على جبل من ذهب في نهر الفرات) ، ويتوقع المرء أن تقوم الهيئات المعنية بالتحرك لترشيد الاستهلاك ، ودراسة أوضاع العـــالم بشـــأن استيعاب حدود الموارد المائية لهذا الكوكب .

* * *

يقول الله تعالى في محكم كتابه :

﴿ قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً * فَمَنْ يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِيْنٍ ﴾

(صدق الله العلي العظيم)

صـــور و أوضـــاع :

الإخلال بالنظام لإقرار نـــظام

بقلم : الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي

قبل هبوط القوات الأجنبية في أفغانستان بتأييد الحلـــف الشـــمالي الأفغاني ؛ أو قبل سيطرة الحلف الشمالي على عاصمة أفغانستان ، ومدنـــه الكبرى بتأييد القوات الأجنبية ، كانت مجلة "إكنومست" ؛ قـــد وصفـــت الحرب بحرب الإعلام ، أو حرب الدعاية على غلافها ، وكـــان في ذلـــك إشارة إلى اتجاه الحملة التي شنتها أمريكا منذ الغـــارات علـــى المركزيـــن التجاري ؛ و الدفاعي في أمريكا .

كان الرئيس الأمريكي قد استخدم تعبير الحملة الصليبية في حالـــة انفعال شديد ، اعترته لدى وقوع الحادث ، لأنه كان قد تـــولى منصـــب الرياسة لأكبر بلد في العالم ، و لم يكن قد بلغ من الحنكة السياسية ، و الحلم والتدبر والتريث في التعبير عن رد الفعل الذي عرف به القـــادة الأوربيـــون ، فاستخدم الرئيس الأمريكي تعبيراً ينم عما كان في ضميره ، و سويداء قلبه بدون ثورية ، أو دجل ، أو استعارة وكناية ، أصبحت شعار السياسة العالمية المعاصرة .

و استدرك الرئيس ما صدر من لسانه بعد أيـــام ، و أوّل أعوانـــه السياسيون بأنه فلتة لسان ، وغير الرئيس بعد ذلك أسلوب كلامه ، وأعلن أن الحملة ليست ضد الإسلام أو ضد المسلمين ، و زار المراكز الإسلامية ، وأصدر أوامره إلى السفارات الأمريكية باحترام شهر رمضان ، وخـــاطب وفود المسلمين ، و أكد لهم بأن الإجراءات التي تتخذهـــا أمريكـــا هـــي إجراءات دفاعية ، وليست ضد أي جهة خاصة وأن هدفه هـــو الإرهـــاب ومعاقبة المسئولين عن الاعتداء .

وقام رئيس وزراء بريطانيا "توني بلير" برحلات مكوكية لإيضاح الموقف ، وبذل أقصى ما يمكن من جهد لإزالة ما أخذه العالم الإسلامي من انطباع بأن الإسلام هو الهدف ، فقال في بيان له أن الإسلام لا يعلم الإرهاب ، وأنه دين الأمن ، وأن هذه الأعمال الإرهابية تتنافى مع تعاليم الإسلام ، و قال كما كانت الحروب الصليبية ضد تعاليم الكتاب المقدس كذلك هذه الإجراءات ضد القرآن الكريم ، و قام هؤلآء الزعماء بتنديد ما حدث من الاعتداءات على المساجد ، والمراكز الإسلامية في البلدان الأوربية ، ولا شك أن هذه التصحيحات ، والاستدراكات والمحاولات لإزالة الشكوك والشبهات كان لها الأثر في ردع الاعتداءات التي كانت قد بدأت تنتشر في البلدان الأوربية ، وبلدان الأقليات الإسلامية ، فأقيمت ندوات ومؤتمرات اشترك فيها ، أتباع الأديان المختلفة لإدانة الإرهاب ، والتأكيد بأن الدين ليس بمصدر الإرهاب ، بل إنه يدعو إلى الأخوة ، والسماحة ، والسلام .

وقد نقلت الصحف والإنترنت ؛ تقارير عن مثل هذه الاجتماعات التي كان لها أطيب الأثر على القلوب ، كما أفادت هذه الوسائل الإعلامية بإقبال الناس على دراسة الإسلام ، وبأن الكتب الإسلامية قد نفدت في مكتبات الدول الأوربية .

و استمرت الحملة العسكرية في أفغانستان على غرار الحملات العسكرية ، انتصر فيها في الظاهر من كان يملك أكبر قوة ، وأعز وسيلة للضرب ، والتدمير ، وبانسحاب "العدو" الذي كان هدفاً معيناً ، وبهذا الانتصار العسكري كان يؤمل أن تضع الحرب أوزارها ، لأن القدرة تذهب الحفيظة ، وهو مثل عربي ، وفي الحرب ينتصر فريق ، وينهزم فريق ، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك : ﴿ ألم * غُلِبَت الرُّوْم فِيْ أَدْنَى الأَرْضِ * وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُوْنَ * فِي بُضْعِ سِنِيْنَ * وَلِلّهِ الأَمْرُ * مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ *

و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله * ينصر من يشاء ﴾ .

وفي العهد الأخير انهزمت ألمانيا واليابان في الحرب العالمية ، وهما اليوم قوتان تتحدان القوى التي انتصرت عليهما، ولا يستغرب ذلك في تاريخ الأمم .

ولكن الذي يستغرب في هذه الحرب ، أن الحرب تستمر بكل شراسة وضراوة ، وتكاد تهدد العالم كله ، باسم مكافحة الإرهاب ، وبدأت أمريكا تهدد دولاً أخرى معظمها من الدول الإسلامية ، وتضغط على ضرب المؤسسات الإسلامية ، الثقافية ، والاقتصادية في العالم الإسلامي ، حتى المؤسسات التي تهدف إلى مكافحة الفقر والجهالة ، كأنَ العدو لم ينسحب من المعركة ، وكأن المعركة قائمة ، ولذلك تبذل أمريكا ، والدول الحليفة لها ما تملك من وسائل الضغط ، والتسخير والتأثير على الدول التابعة لها لمحاربة هذا العدو الذي تسميه بالإرهاب .

و إذا كان العدو ، بلداً معيناً ؛ فهومعلوم ، له حدود ، وإذا كان شخصاً ؛ فهو معلوم يبحث عنه ، ويصطاد يوماً ، حيّاً أو ميتاً ، أو يتنازل المطارد له عن البحث عنه إذا علم أنه مات ، كما حدث في حالة "هتلر"، أو أبطال الحروب الآخرين ، ولكن إذا كان العدو ، نظرية ، أو شعوراً اجتماعياً ، أو رد فعل قومي ، أو فكري ، أو وهما من الأوهام أو كابوساً ، فكيف يمكن التخلص منه .

لقد أحدثت هذه الحملة ، اضطراباً في العالم كله ، واهتزت الكيانات العالمية ، و بدأ كل زعيم من من زعماء العالم يطارد هذا العدو الموهوم ، وقد تعدى بعض الزعماء الأوربيين والكتاب إلى حد وضع القرآن الكريم ، والمقدسات الإسلامية في قائمة "العدو" .

ان الإعلام العالمي خاضع لسيطرة اليهود وهو الذي يحوّل هذه الحملة إلى الإسلام والمسلمين ، ويركز عليهما ، ويصرف النظر عن كل جهة أخرى ، واليهود لهم عداوة تاريخية مع الإسلام والمسلمين ، وهم

يملكون وسائل تسخير النفوس ، وكان من شغلهم أن يحولوا كل ما يحدث في العالم من جريمة ، أو مخالفة للقانون ، إلى الإسلام و المسلمين ، و قد بذلوا هذه المحاولة في السابق أيضاً بتحويل الجرائم والاعتداءات إلى جهة المسلمين ، وثبت دجلهم وافتراؤهم .

إن الإرهاب يعم العالم كله ، و لكل إرهاب مصدر ، و جهة ، وأسباب ، ولا يخلو أي بلد من نوع من الإرهاب ، والمسلمون يشكلون أقل من ثلث العالم ، فإذا كان لهم نصيب ؛ فهو بمقدار الثلث ، ولكن الإعلام يركز على هذا الثلث ، ويغض بصره عن الثلثين الاخرين ، ويقلد العالم كله الإعلام العالمي الذي يسيطر عليه اليهود ، ويثق بما تقوله وكالات الأنباء ، والإذاعات ، والتلفزيونات ، والإنترنت من غير وعي ، ومحاولة لتقصى الحقائق ؛ لأنه يعتبر الإعلام ثقة كما قال العرب :

إذا قالت حذام فصدقوها

فإن القول ما قالت حذام

إن الحرب التي بدأت ضد فرد أو جماعة حاكمة في بلد ، تحولت بهذا التزوير الإعلامي حرباً على الإسلام ، والعمل الإسلامي حقيقية ، وأصبح كل ملتزم بالإسلام ، و متظاهر بشعائره ، هدفاً ، وبدأت الحكومات تتخذ إجراءات لتطويق النشاط الإسلامي ، و مراقبة كل متحمس له ، حتى الذين يدرسون في المدارس الدينية ، والذين يبدون مشاعرهم الدينية يواجهون أخطر الإجراءات لقمع نشاطاتهم التي لا تتعارض مع دساتير البلاد الديموقراطية ، ويضمن لهم ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ، ولتنفيد هذه الإجراءات تتخذ قوانين استثنائية للحدّ من هذه الحريات ، وتتهدد سلامة عدة بلدان ، فاختل بذلك الميزان ، واضطرب كل نظام .

لقد وعدت أمريكا بمنح نظام جديد ، و لكن هذه المواقف تشير إلى اضطراب النظام ، وكيف يضمن السلام العالمي باضطراب النظام ، إنه سؤال يقلق كل محب للسلام والحرية .

إلى رحمة الله تعالى :

١- فضيلة الشيخ المفتي عبد الرحيم لاجفوري

في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س.أ.)

أفادت الأنباء بوفاة العالم الجليل فضيلة الشيخ المفتي عبد الرحيم لاجفوري في ٢/من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٢هـ - الموافق ١٨/من شهر نوفمبر ٢٠٠١م بعد ما عاش مبجلاً مكرماً ، واستوفى قرناً كاملاً (مائة عام) من عمره في خدمة العلم والفتيا ، وتدريس العلوم الإسلامية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد رحمه الله من كبار علماء هذه البلاد ، وفقهائها ، وفقه الله تعالى للقيام بتدوين الفتاوى ، حول قضايا مهمة ، في مجلدات ضخمة تعتبر مرجعاً هاماً لأصحاب الفتاوى ، و لذلك فإن لهذه الفتاوى ميزة كبيرة بالدراية ، و التحقيق ، و البحث في المسائل في ضوء الكتاب والسنة ، و قد نالت قبولاً واسعاً بين أوساط العلماء وأصحاب الفقه .

كان ينتمي إلى بلدة لاجفور في ولاية غُجرات (الهند) ، ولكنه كان يقيم في مدينة راندير ، حيث وفقه الله للاشتغال بالعلم والدراسة والبحث و التحقيق في القضايا ، والمسائل العامة والخاصة ، وإفادة الناس بغزارة علمه ، وخصوبة فكره ، مع التمسك بذيل التقوى والورع والتواضع ، والحمية الدينية ، أضف إلى ذلك اتباعه للسنة في جميع شئون الحياة ، والتعامل مع الناس بلطف وأدب .

له عدا فتاويه التي سماها : الفتاوى الرحيمية ، رسائل وكتب دينية مفيدة ، خلف وراءه أسرة علمية واسعة ، وجماعة من المعجبين به على مستوى عموم الهند .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله ، وذويه الصبر والسلوان ، والله ولي المؤمنين المتقين .

٢- فضيلة الشيخ عاشق إلهي

في ذمة الله تعالى

تلقت الأوساط العلمية والدينية في الهند بشئ كثير من الأسف و الأسى نبأ وفاة العالم الكبير فضيلة الشيخ عاشق إلهي ؛ نزيل المدينة المنورة ، و المقيم فيها منذ مدة لا بأس بها ، و ذلك في ١٢/من شهر رمضان المنصرم عام ١٤٢٢هـ - الموافق ٢٨/من نوفمبر ٢٠٠١م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من بلدة "بلند شهر" في الهند ، وقد تخرج في الحديث الشريف على يد محدث الهند الكبير العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي من مدرسة مظاهر علوم ، واشتغل بعمل الدعوة والتبليغ في مركز نظام الدين إلى مدة أكثر من عامين ، وألف رسالة باسم : "المبادئ الستة" للدعاة والمبلغين ، وألف كتاباً باسم : "ماذا بعد الموت" ، نال إعجاباً وقبولاً بين أوساط العامة والخاصة ، واهتدى به كثير ممن كانوا يعيشون في غفلة وغواية ، ثم ناداه منادى الشوق والحب لزيارة الحرمين الشريفين ، والإقامة في مدينة الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم ، حيث يؤدي ضريبة الحب والولاء ، و يستفيد من نفحاتها ، و يستروح رياها ، فكان يعتبر ذلك من سعادته ، ويغتبط بحظه ، ويحمد الله تعالى على هذا التوفيق الغالي .

قام بخدمات علمية خلال إقامته بمدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع اشتغاله بالعبادة ، والإنابة إلى الله تعالى ، كان يحب سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، فكلما كان سماحته يزور المدينة المنورة ؛ يدعوه إلى منزله على طعام العشاء أو الغداء .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وأكرم نزله فيها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

٣- فضيلة الشيخ السيد احمد الهاشمي

إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الشيخ السيد أحمد الهاشمي في شهر رمضان المنصرم عام ١٤٢٢هـ ، فإنا لله و إنا إليه راجعون ، لقد كان الفقيد جمع

في حياته جوانب متعددة ، فأحرز مكانة عالية في الأوساط العلمية والدينية والسياسية و الملية ، وقد ظل عضو البرلمان الهندي إلى مدة ، فاستطاع من خلال هذه العضوية أن يخدم قضايا المسلمين ، ويرفع صوته ضد كل ظلم وعدوان ، كان الله تعالى رزقه الجراءة ؛ فيصدع بالحق وينصره ، ويحارب الباطل ويزهقه .

كان يتميز بأخلاق عالية ، وتواضع ، ودين ، بذل مجهودات بالغة في خدمة الشعب و البلاد ، و مواجهة الظروف مهما كانت صعبة ؛ كان يتعاون مع الناس ، ويراعى مصالح الأمة في كل حال ، و لا تحول دون ذلك عضوية البرلمان ، وذلك هو السبب فيما إذا نال القبول والإعجاب من جميع الأوساط .

تغمده الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وأسكنه جنات عالية ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة .

٤- فضيلة الشيخ السيد محمد طاهر الحسيني المظاهري

في ذمة الله تعالى

فجعت أسرة ندوة العلماء بوفاة فضيلة الشيخ محمد طاهر الحسيني المظاهري ، الأمين العام المساعد لندوة العلماء سابقاً ، وأحد أقرباء سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، و والد الشيخ السيد سلمان الحسيني الندوي ، أستاذ بكلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء ، بعد مرض طويل عاني من شدته في الأيام الأخيرة ، وأدخل المستشفى حيث قضى أيام المرض الأخيرة ، وكان قد عاد إلى أهله قبل ليلة واحدة من وفاته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

استأثرت به رحمة الله صباح اليوم الثامن من شهر شوال عام ١٤٢٢هـ - الموافق ٢٤/ديسمبر ٢٠٠١م .

كان الفقيد من متخرجي مدرسة "مظاهر العلوم" في سهارنفور (الهند) ، واشتغل بعد ذلك بعمل الدعوة والتبليغ ، وخرج في سبيل ذلك إلى الحجاز في عام ١٩٥١م ؛ حيث قضى مدة ، و بعد ما رجع منها توظف كأستاذ في إحدى المدارس الإسلامية في لكناؤ ، ثم عين الأمين العام المساعد لندوة العلماء ، وظل في هذه الوظيفة إلى مدة طويلة تمتد على نحو أربعين عاماً ، و أصيب

بانكسار عظم الفخذ من أجل زلة في إحدى السفرات ، ومنذ ذلك الوقت بقي رهين المرض ، وإن كان يؤدي وظيفته خلال ذلك ، ولكنه تقاعد أخيراً ، وأحيل إلى المعاش حتى وافاه الأجل .

لقد كان الراحل الكريم من الأتقياء الصالحين جريئاً في العمل ، وصريحاً في القول،لا يحابي ولا يداهن ، كان يتمتع بالشعور القوي بالمسئولية ، ويؤديها على أحسن وجه ، خلف وراءه ذرية طيبة من الأنجال و الأحفاد ؛ منهم : الشيخ السيد سلمان الحسيني الندوي ، والأستاذ السيد محمد إسحاق الحسيني الندوي ، والأستاذ صهيب الحسيني الندوي .

أمطر الله عليه شآبيب رحمته ، وغفر له زلاته ، وأنزله منزلاً مباركاً في جنات النعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، فإن الله مع الصابرين .

++++++++++++++++++++++++

هنا ذكر عدد من الراحلين والراحلات في شهر رمضان وبعده

١- شقيقة فضيلة الشيخ محمد عارف السنبهلي الندوي ؛ أستاذ التفسير بدار العلوم لندوة العلماء ، قد وافاها الأجل في ليلة السادس من شهر رمضان المبارك ١٤٢٢هـ بعد مرض طال عليها مدة طويلة ؛ فإنا لله و إنا إليه راجعون .

كانت الراحلة سيدة صالحة ذات ورع ودين مع التصلب في العقيدة كان عنصر الصبر والشكر بارزاً في حياتها ، كانت معجبة بجامعة ندوة العلماء و ترغب أن يتلقى فيها أولادها التعليم والتربية ، وقد تحققت لها هذه الرغبة ، إذ تخرج ولدها العزيز من جامعة ندوة العلماء ، وهو الآن مدرس في مدرسة مدينة العلوم بسنبهل .

تناولتها رحمة الله تعالى ومغفرته ، وكانت الجنة مثواها .

٢- كما أن السيدة فاطمة بنت الأستاذ الفاضل السيد إبراهيم الحسني وافتها المنية إثر نوبة قلبية مفاجئة في ليلة ١٥/من شهر رمضان المبارك في مدينة "دلهي" ؛ حيث كانت مقيمة مع زوجها السيد جاويد فريدي ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قد كان هذا الحادث مفاجئة مؤلمة لجميع أعضاء الأسرة الحسنية ، و

خاصة لوالديها السيد إبراهيم الحسني وزوجته ؛ اللذين يقيمان في الكويت منذ مدة طويلة .

ونحن إذ نعزيهما ، وجميع أفراد الأسرة على هذا الحادث الفاجئ ، نبتهل إلى الله تعالى أن يتناول الفقيدة الغالية بالرحمة والمغفرة ، ويكرم نزلها في جنات النعيم ، ويلهم والديها وزوجها ، وجميع أفراد الأسرة الصبر والسلوان .

٣- توفيت والدة الأستاذ أمين الدين شجاع الدين ؛ مدرس اللغة الإنجليزية بدار العلوم ندوة العلماء ، ومدير صحيفة "بانك حرا" في ١٧/من رمضان المبارك ١٤٢٢هـ بعد ما عاشت مريضة إلى مدة طويلة ، وذلك في مدينة "بيوندي" بولاية مهاراشترا ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة من السيدات الصالحات قامت بتربية أولادها ، وتعليمهم بطريقة ممتازة ، رحمها الله رحمة واسعة ، وصفح عن زلاتها ، وأسكنها فسيح جناته .

ونحن إذ نعزى خلف الفقيدة ، ندعو لهم بالصبر والتعزي .

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ * قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

٤- تلقت أسرة المجلة نبأ وفاة السيدة حرم فضيلة الشيخ الأستاذ السيد أبي بكر الحسني ، في ٢٢/من شهر شوال المكرم ١٤٢٢هـ - الموافق ٧/من شهر يناير ٢٠٠٢م ، عن عمر يناهز ٩٠/عاماً ، فقد كانت طريحة الفراش إلى مدة ، ولم يكتب لها البرء ، وكانت مقيمة في مدينة دلهي مع الأسرة ؛ حيث توفيت ، و تم تدفينها في مقبرة بجوار المقر الرئيس لجمعية علماء الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفضيلة الأستاذ أبي بكر الحسني أقرب قريب لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) ومن أسرته الحسنية الخاصة.

ونحن إذ نتقدم بالتعازى إلى فضيلة الشيخ الأستاذ الحسني على هذا الحادث الذي صدم قلبه ، وكان باعثاً على الحزن والتألم ، نبتهل إلى الله تعالى أن

يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ، ويكرم نزلها في جنات الفردوس ، ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

٥- لقد فجع فضيلة الدكتور السيد إقبال أحمد الندوي وأسرته ، بوفاة ابنه الشاب الدكتور السيد سهيل إقبال الذي أصيب بمرض الكليتين بغتة من غير مرض سابق ، ورغم معالجات كبيرة ، وتدبيرات لازمة للعلاج لم يكتب له الشفاء ، و وافاه الأجل في ٢٢/من شهر شوال المكرم عام ١٤٢٢هـ - الموافق ٧/يناير ٢٠٠٢م ؛ فإنا لله و إنا إليه راجعون ، ونحن إذ نعزى فضيلة الدكتور السيد إقبال وشقيقه الأستاذ جاويد إقبال ؛ المدرس بدار العلوم لندوة العلماء وأسرته على هذا المصاب المفاجئ الذي صدم قلبه وقلوب الجميع ، ندعو الله سبحانه أن يوفقهم للصبر الجميل ، ويكتب لهم الأجر الجزيل .

٦- فوجئنا بنبأ وفاة الطبيب البارع الممارس بالطب العربي ، و المعروف بين الناس ببراعة في فنون الطب ، الأستاذ الحاج افتخار أحمد الكياني ، صاحب العيادة الشهيرة في منطقة "مولوي غنج" في مدينة لكناؤ ، وذلك عقب نوبة قلبية كانت قاضية على حياته ، وذلك مساء يوم الثالث والعشرين من شهر شوال المكرم ١٤٢٢هـ - الموافق ٨/يناير ٢٠٠٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم من خيرة الأطباء البارعين ، يتمتع بالصيت الحسن والأخلاق الكريمة ، وحسن معاملته مع المرضى ، كان ينتمي إلى أسرة كريمة من إحدى القرى المجاورة لمدينة لكناؤ ، ولكنه استوطن في لكناؤ ، وقد هاجر شقيقه الصغير الأستاذ نصّار رفيع إلى المملكة العربية السعودية ، وتجنس هناك بالجنسية السعودية ، وقد عيّن مديراً للبرامج الشرقية للقسم الأردوي في الإذاعة السعودية إلى مدة طويلة ، وأحيل إلى المعاش منذ مدة قريبة ، وهو وأعضاء أسرته كلهم مقيمون في مدينة "جدة" بالسعودية .

رحم الله الراحل الكريم ، وأغدق عليه شآبيب الرحمة والمغفرة ، وجعل الجنة مثواه ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة ، فإنه أرحم الراحمين .

* * *

٧- فضيلة المفتي الشيخ عبد الباسط الإبراهيمي

في ذمة الله تعالى

فوجئنا بنبأ وفاة فضيلة المفتي الشيخ عبد الباسط الإبراهيمي ، إمام وخطيب مسجد "غيان باغي" ، ومفتي مدينة بنارس (الهند) ، وكان قد أصيب بداء الفالج منذ أيام عديدة يعالج منه ، و كان مرجواً شفاؤه ، إلا أن قدر الله كان مقدوراً ؛ فجاء أجله ، واستأثرت به رحمة الله صباح اليوم الثلاثاء الثالث و العشرين من شهر شوال عام ١٤٢٢هـ - المصادف ٨/من شهر يناير ٢٠٠٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد من أسرة علمية دينية في مدينة بنارس ، فقد كان والده فضيلة المفتي الشيخ إبراهيم رحمه الله ؛ مفتي مدينة بنارس ، وإمام وخطيب المسجد المذكور ، وكان يتمتع بمكانة عالية بين الأوساط العلمية في هذه البلاد ، ولا سيما في مدينة بنارس ؛ وما جاورها من المدن والقرى ، فقد كان محبباً لدى الناس ، وقد خلفه المفتي عبد الباسط في جميع هذه الشئون الدينية ، و نال إعجاب الناس وقبولهم ، و كان قد اختير رئيس جمعية علماء الهند لمدينة بنارس ، نظراً إلى منزلته في العلم والدين .

تلقينا هذا النبأ الحزين ، وكان هذا العدد على وشك الصدور ، فأحببنا أن لا يفوت ذكره مع الراحلين في هذه الأيام ، وسجلنا هذه السطور ، وفاءً بالواجب ، وأداءً للأمانة ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ، و يصفح عن زلاته ، و يسكنه فسيح جناته ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوة ، فإنه سميع مجيب قريب .

* * *